وزارة التـــعليم الـــعالي والبـــحث العـــلمي
جامعة سعـــيدة – الدكتور مولاي الطاهر
كلـــية الآداب واللـــغات والفـــنون
قسم اللغـــة العربية وآدابها

الموضوع :

منهج التّحليل عند المفسّرين
" ابن كثير أنموذجاً "

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي تخصص لسانيات عامة

إعداد الطالب:
- أحمد ملوكي

الأستاذ المشرف
أ.د لعرج عجال

السّادة أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرّتبة	الصّفة	الجامعة
جيلالي زحاف	أستاذ التّعليم العالي	رئيساً	جامعة سعيدة
لعرج عجال	أستاذ التّعليم العالي	مشرفاً ومقرراً	جامعة سعيدة
تامي مجاهد	أستاذ محاضر-أ-	ممتحناً	جامعة سعيدة

السنة الجامعية 2020م/2021م-1441هـ/1442هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إهداء

إلى الوالدين الكريمين وكلّ أفراد

العائلة.إلى الإخوة والأصدقاء

والأحباء.إلى كلّ من أمدّنا يد

المساعدة لإتمام هذا العمل .

الطالب : أحمد ملوكي

الشكر والتقدير

بسم الله والصّلاة والسّلام على رسول الله أمّا بعد:

أشكر الأستاذ المشرف "لعرج عجال" على ما قدّم لي من نصائح وتوجيهات في مسيرة إنجاز هذا البحث ، من بدايته إلى أن تمّ جزاه الله خيراً .

أشكر كلّ من بسط لي يد المساعدة لإنجاز هذا العمل ، من قريب أو من بعيد جزاهم الله خيراً .

والحمد لله ربّ العالمين .

مقدمة

مقدمة :

إنّ تحليل النّصوص والخطابات عرف منذ القدم عند علماء اللغة إذ نجدهم – عبر مرّ العصور – يتناولون النّصوص بالشرح والتّحليل، لفهم معانيها وبلوغ مقاصدها .

وقد اهتم علماء الدراسات القرآنية بمعاني القرآن الكريم، وأقبلوا على شرح ألفاظه وتفسير آياته، فاستنبطوا منه الأحكام وفهموا منه المقاصد الشرعية، وفسروه بما يناسب معناه الصحيح، معتمدين في ذلك منهجا تحليلياً واضحا.

وقد تميّز منهج التّحليل عند المفسرين بقواعد تضبطه في شرح آيات القرآن الكريم وبيان معناها .

ونظراً لأهمية هذا الموضوع وقيمته الدينية والعلمية أردنا أن نغوص في أغواره ونكتشف ما يكتنـــزه من درر ولآلئ بموضوع بحث موسوم بـــ" **منهج التّحليل عند المفسرين ابن كثير أنموذجاً** " .

يرجع سبب اختيارنا لهذا الموضوع إلى الميولات الشخصية ، وسهولة تقبل النفس لمثل هذه المواضيع ، وهو ما ينتج عنه الجدّ في العمل والاجتهاد في تعميق البحث وإثرائه .

أمّا إشكالية البحث التي نطرحها تتمثل في :

1- ما مفهوم منهج التّحليل عند المفسرين ؟
2- هل اتبع المفسرون منهجا واحداً أم تعددت مناهجهم ؟
3- ما منهج التّحليل الذي اعتمده ابن كثير في تفسيره ؟
4- ما هي المصادر التي اعتمد عليها في التّفسير ؟

اعتمدنا في دراسة هذا الموضوع المنهج الوصفي كونه مناسبا لعرض مناهج تحليل آي القرآن الكريم عند المفسرين ، وفق خطة قسمناها كالآتي :

مقدمة ومدخل وفصلان وخاتمة .

جاء المدخل معنوناً بنشأة منهج التحليل عند المفسرين ، تطرقنا فيه إلى مفهوم المنهج والتحليل ، ومفهوم التفسير والتأويل والفرق بينهما ، وأشرنا فيه إلى أهمية علم التفسير ، ثمّ انتقلنا إلى سرد مراحل تطور التفسير ، فتطرقنا إلى التّفسير في عهد النّبي –صلى الله عليه وسلّم– ثمّ زمن الصحابة ثمّ التابعين وصولاً إلى عصر التدوين .

أمّا الفصل الأول فقد عنوناه بمناهج التحليل عند المفسرين ، قسمناه إلى أربعة مباحث ، تكلمنا في المبحث الأول عن منهج التحليل النقلي ، وأشرنا فيه إلى مصادره التي اعتمد عليها ، أمّا المبحث الثاني فخصصناه لمنهج التّحليل بالرأي ، فذكرنا تعريفه وموقف العلماء منه ، ثمّ المبحث الثالث الذي عنوناه بمنهج التحليل عند المتكلمين ، تطرقنا فيه إلى تعريف علم الكلام ، ونشأته وأخذنا نماذج عنه ، والمبحث الرابع عالجنا فيه منهج التحليل الإشاري ، فذكرنا تعريفه وأخذنا أمثلة عنه ، كما أشرنا إلى موقف العلماء منه .

أمّا الفصل الثاني فخصصناه للجانب التطبيقي ، تناولنا فيه ترجمة الحافظ ابن كثير ، فذكرنا مولده وبعض شيوخه وتلاميذه ، ثمّ وفاته ، وذكرنا حياته العلمية ، وبيّنا أهمية كتابه في تفسير القرآن العظيم وبعدها تطرقنا إلى منهجه النظري الذي أشار إليه في مقدمة كتابه تفسير القرآن العظيم ، ثمّ أوردنا الدراسة التطبيقية لمنهج ابن كثير في تفسيره للقرآن الكريم ، وأرفقنا هذه الدّراسة ببعض التعليقات والملاحظات التي لها صلة بالموضوع ، ثمّ أردفنا هذه الدراسة بالمآخذ على منهج ابن كثير .

وفي خاتمة هذا البحث رصدنا أهم النتائج التي خلصنا إليها من خلال ما تطرقنا إليه في البحث نظرياً وتطبيقياً.

وقد اعتمدنا في إنجاز هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع نذكر منها :

- كتاب (التّفسير والمفسرون)لمحمد حسين الذهبي ،وكتاب (لمحات في علوم القرآن واتجاهات التّفسير) لمحمد بن لطفي الصباغ .

تمّ بعون الله ومنّه وفضله إنجاز هذا البحث مساء يوم الثلاثاء 29 رمضان 1442هـ الموافق لـ 11 ماي 2021، بلدية هونت ، دائرة سيدي بوبكر ، ولاية سعيدة .

المدخل: نشأة منهج التحليل عند المفسرين .

- مفهوم منهج التّحليل.
- مفهوم التّفسير والتّأويل والفرق بينهما.
- أهمية علم التّفسير .
- مراحل نشأة التّفسير.

مدخل :

ينتهج المفسرون طرقاً عديدة لشرح آيات القرآن الكريم وتحليلها ، وفقا للمطالب والمقاصد الإلهية ، فيتبعون في تفسيرهم قواعد وضوابط تبلغهم إلى الغاية المطلوبة ، نجدهم يعتمدون منهج تحليل يمكنهم من تفسير آيات الذّكر الحكيم ، إلاّ أنّ منهج التّحليل لم يكن معروفاً عندهم باسمه بل يعرفه الدّارس من خلال تفسيرهم لآي القرآن الكريم .

وقد مرّ التحليل بعدّة مراحل ، انطلاقا من النّبي – صلى الله عليه وسلم – مروراً بالصحابة – رضي الله عنهم – ثمّ التابعين وصولاً إلى عصر التدوين ، الذي ظهرت فيه ضوابط وقواعد تحكم تفسير القرآن الكريم ، وتحليله ،إلا أنّ منهج التحليل لم يكن واحداً ، بل كانت مناهج متعددة في تفسير القرآن الكريم .

1- مفهوم منهج التّحليل :

إنّ شرح آيات القرآن الكريم وتفسيرها هو عمل من الأعمال العظيمة يتّبع فيها المفسّرون مناهج متعددة للوصول إلى المعاني ، والمقاصد الشّرعيّة والعلماء حريصون على بلوغ مرادهم في بيان كلام ربّ العالمين واستخراج الأحكام التي جاء بها القرآن الكريم ، وقد تعدّدت المناهج بتعدّد المفسرين حسب الأمصار .

1-1 تعريف المنهج :

أ- **لغة** : جاء في المعجم المحيط للفيروز آبادي : "النّهج : الطريق الواضح...واستنهج الطريق : صار نهجاً "[1]

1- مجد الدين محمد يعقوب الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، تح: أبو الوفا نصر الهوريني المصري الشافعي ، دار الحديث، دط، القاهرة ، 2008.ص:1656.

أمّا في مختار الصحاح: " النهج بوزن الفلس، والمنهج بوزن المذهب والمنهاج: الطريق الواضح، ونهج الطّريق: أبانه وأوضحه، ونهجه أيضاً سلكه "[1].

وقد ورد في المعجم الوسيط : " نهج الطريق نهجاً ونهوجاً، وضح واستبان ، وأنهج الطريق ، استبانة وسلكه ، والمنهاج الطريق الواضح ، وفي التنـــزيل العزيز : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[2]. والخطة المرسومة (محدثة)ومنه منهاج الدراسة ومنهاج التعليم ونحوها ، والجمع : مناهج أو خطوات "[3] .

من خلال التعاريف المعجمية السابقة يمكن القول : إنّ المنهج هو الطريق الواضح المستقيم الذي يسلكه الإنسان .

ب- المنهج اصطلاحاً :

إنّ المنهج في الاصطلاح يشير إلى الطريق أو الخطوات التي يتبعها الباحث أثناء بحثه ، وعُرّف المنهج بأنّه : " الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة ، تهيمن على سير العقل وتحديد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة "[4].

وفي تعريف آخر هو : " خطوات منظمة يتخذها الباحث لمعالجة مسألة أو أكثر ، ويتبعها للوصول إلى نتيجة . والمنهج على العموم هو: الطريق الواضح في التعبير عن الشيء ،

1- زين الدّين محمد بن أبي بن عبد القادر الرازي ، مختار الصحاح ، تح: حمزة فتح الله ، مؤسسة الرسالة ، ط3، بيروت ، 2009.ص: 586،585

2- سورة المائدة: 48.

3- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشرق الدولية، ط4، مصر 2004، ص: 997.

4- عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، ط3، الكويت، 1977.ص:5.

أو في عمل شيء ، أو في تعليم شيء طبقاً لمبادئ معينة ، وبنظام معين ، وبغية الوصول إلى غاية معينة "[1].

وعُرّف المنهج كذلك بـــ:" الأسلوب الذي يستخدمه الباحث في دراسة ظاهرة معينة، والذي من خلاله يتم تنظيم الأفكار المتنوعة بطريقة تمكنه من علاج مشكلة البحث "[2].

وممّا تقدم من التعريفات الاصطلاحية نستنتج أنّ المنهج هو مجموعة من القواعد يوظفها الباحث للوصول إلى هدف معيّن .

1-2 مفهوم التّحليل:

أ- لغة :

ورد معنى التحليل في المعاجم العربية بعدّة معان تتقارب فيما بينها في الدلالة، حيث نجد ابن فارس يقول : " الحاء واللام له فروع كثيرة ومسائل وأصلها كلها عندي فتح الشيء لا يشدّ عنه شيء ... يقال حللت العقدة أحلّها حلاً " [3] .

أمّا في القاموس المحيط فالتّحليل هو النقض والإذابة وهو ما نجده في جملة قول صاحبه: " حلّ العقدة نقضها فانحلت، وكلّ جامد أُذِيب فقد حلّ "[4] .

كما جاء في المعجم الوسيط معنى التّحليل : " تحليل الجملة بيان أجزائها ، ويقال : حلّل نفسية فلان : درسها وحلل العقدة حلّها ، والشيء رجعه إلى عناصره " [5].

1- يوسف خياط ، معجم المصطلحات العلمية والفنية ، دار لسان العرب ، دط، بيروت ، ص:690.

2- محمد سرحان علي محمود ، مناهج البحث العلمية والفنية ، دار الكتب ، ط3، اليمن ،2019، ص:35

3- ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ،تح: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ط1، 1979،ج1، ص:20.

4- مجد الدين محمد يعقوب الفيروز آبادي ، مرجع سابق ، ص: 396.

5- مجمع اللغة العربية ، مرجع سابق، ص: 194.

يتضح لنا من التعريفات اللغوية الآنفة الذكر أنّ التحليل هو فتح الشيء وبيان مكونات أجزائه الأصلية .

ب- اصطلاحاً :

للتّحليل تعاريف اصطلاحية مختلفة حيث يصعب تحديد تعريف شامل له ، فتعريفه يختلف باختلاف ميدان الدراسة ، يقول فخر الدين قباوة : "والتحليل مصوّغ من الحلّ ، فيعود معناه إلى فتح الشيء وفك مغلقاته "[1].

كما اعتبر فخر الدين قباوة التحليل منهج عام حيث يقول : " التحليل في الأصل منهج عام يراد به تقسيم الكل إلى أجزائه ، و ردّ الشيء إلى عناصره "[2].

أمّا التّحليل في مجال تفسير القرآن الكريم فهو:" تبيين معاني الكلم القرآني إفراداً أو تركيباً بواسطة تفكيك الآيات والجمل والكلمات إلى أجزائها ليعطى كل جزء ما يستحقه من البيان "[3] .

وفي تعريف ثان هو : "بيان الآيات القرآنية بياناً مستفيضا من جميع نواحيها ، بحيث يسير المفسر في هذا البيان مع آية السور آية آية ، شارحاً مفرداتها ، وموجهاً إعرابها ، وموضحاً معاني جملها ، وما تهدف إليه تراكيبها من أسرار وأحكام ، ومبيّناً أوجه المناسبات بين الآيات ، والسور ، مستعيناً في ذلك بالآيات القرآنية الأخرى ذات صلة ، وبأسباب

1- فخر الدين قباوة ، التّحليل النّحوي أصوله وأدلته، الشركة المصرية ،ط1، القاهرة ، 2002،ص: 14.

2- المرجع نفسه ، ص: 14.

3-شاكر نعمة بكري الكبيسي ، التفسير التّحليلي ، مركز البحوث والدّراسات الإسلامية ، ط1، العراق ، 2009،ص: 12.

النـــزول وبالأحاديث النّبوية ، وبما صحّ عن الصحابة والتابعين وبغير ذلك من العلوم التي تعينه على فهم النّص القرآني وتوضيحه للقراء ، مازجاً ذلك بما يستنبطه عقله "[1].

فالتعاريف الاصطلاحية لمفهوم التحليل تتلخّص في بيان النّصوص القرآنية وشرحها بما يناسب إطارها المقامي والمقالي ، حيث يستعين المحلل بما يساعده في تفسير الآيات ،من أساب النّـــزول ، والناسخ والمنسوخ والعلوم اللّغوية ، وغيرها من آليات التّفسير .

2- مفهوم التّفسير والتّأويل والفرق بينهما:

يُعدّ التفسير ركيزة أساسية في فهم معاني القرآن الكريم وبيان دلالته. والتفسير فيه متعة الباحثين عن مقاصد القرآن الكريم، له – التفسير- فوائد عظيمة في استخراج الحجج ، والبراهين من آيات القرآن الكريم وتوجيهها وفهم مقاصدها .

2-1 – تعريف التفسير :

أ- لغة :

جاء في القاموس المحيط للفيروز آبادي معنى التفسير هو التأويل ، فقد أوضح في مادة (ف س ر) أنّ : " التفسير والتأويل واحد أو هو كشف المراد عن المشكل ، والتأويل ردّ أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر " [2].

وقال ابن منظور : " الفسر : البيان ، فسر الشيء يفسره – بالكسر ويَفْسُره بالضم – فسراً وفسَّرَه: أبانه ، والتفسير مثله ، والفسر كشف المغطى والتفسير : كشف المراد عن اللفظ المشكل " [3].

1- محمد حمدى زقزوق ، الموسوعة القرآنية المتخصصة ، المطابع التجارية ، دط، مصر ، 2003،ص:278.

2- مجد الدين محمد يعقوب الفيروز آبادي ،مرجع سابق ، ص: 1246.

3- نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمر قندي ، بحر العلوم ،تح: مجموعة من الأساتذة ، دار الكتب العلمية ، ط1،بيروت ، 1993،ج1، ص:13.

أمّا في المعجم الوسيط التفسير هو: " الشرح والبيان، وتفسير القرآن من العلوم الإسلامية، يقصد منه توضيح معاني القرآن الكريم وفسر الشيء فسراً وضّحه" [1].

فالتفسير من خلال التعاريف اللغوية السابقة هو : البيان والكشف عن الغامض المشكل .

ب- اصطلاحا:

للتفسير تعريفات عديدة في الاصطلاح ، فقد ذكر العلماء أقوالاً كثيرة منها : تعريف أبي حيان في تفسير البحر المحيط حيث يقول : " التفسير علم يبحث عن كيفية النّطق بألفاظ القرآن الكريم ، ومدلولاتها ، وأحكامها الإفرادية والتركيبية ، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك " [2].

وفي تعريف ثان: " كلمة التفسير تطلق في اصطلاح علماء التفسير والمعنيين به، علم العلم الذي يفهم به كتاب الله المنـــزّل على نبيه محمّد – صلى الله عليه وسلم – وبيان معانيه واستخراج أحكامه " [3].

وقد عرّفه الفناري بقوله : " هو معرفة أحوال كلام الله تعالى من حيث القرآنية ، ومن حيث دلالته على ما يعلم أو يظن أنّه مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية " [4].

ومنه يتبيّن لنا أنّ التفسير هو علم يهتم بإيضاح وبيان كلام الله المنـــزّل على نبيّنا محمّد – صلى الله عليه وسلم – حتى يفهم النّاس مقاصده التي يرمى إليها.

1- مجمع اللغة العربية ، مرجع سابق ، ص: 194.

2- محمد حسين الذّهبي ، التفسير والمفسرون ، مكتبة وهبة ،دط، القاهرة ، ص:13.

3- محمد حسين الذّهبي ، علم التفسير ، دار المعارف ،دط، القاهرة ، ص: 6.

4- مساعد مسلم أن جعفر ، محي هلال السرحان ، مناهج المفسرين ، دار المعرفة ، ط1، 1980، ص: 8،9.

2-2- مفهوم التّأويل :

إنّ التأويل في القرآن الكريم لا يمارسه إلاّ من كان له مستوى عالٍ ورفيع من العلم والفهم والدقة ، بكونه متخصص بمعالجة المجمل والمشكل والخفي من الدلالة .

أ- التّأويل لغة :

يقول ابن فارس في معجمه مقاييس اللغة في مادة (أ و ل) : " الهمزة والواو واللام أصلان : ابتداء الأمر وانتهاءه ... وآل يؤول أي رجع ، قال يعقوب : أوّل الحكم إلى أهله ، أي أرجعه وردّه ... ومن هذا الباب تأويل الكلام ، وهو عاقبته وما يؤول إليه ، وذلك قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ﴾[1].يقول : ما يؤول في وقت بعثهم ونشورهم " [2].

ويذكر الفيروز آبادي في محيطه : " أوّله إليه رجعه ... وأوّل الكلام تأويلاً وتأوّله: دَبَره وقَدّره وفسّره، والتأويل: عبارة الرؤيا"[3] .

وقد جاء في معجم "مختار الصحاح" : "التأويل تفسير ما يؤول إليه الشيء ، وقد أوّله تأويلاً وتأوّله بمعنى " [4].

فالتأويل لغة من خلال ما استعرضناه من المعاجم السابقة هو التفسير والتعبير وإرجاع الكلام إلى ما يؤول إليه .

1- الأعراف: 53.

2- أحمد بن فارس ، مرجع سابق ، ص: 159، 162.

3- مجد الدين محمد يعقوب الفيروز آبادي ، مرجع سابق ، ص: 83.

4- زين الدّين محمد بن أبي بن عبد القادر الرازي ،مرجع سابق، ص: 42.

ب- اصطلاحاً :

إذا ما نظرنا إلى تعريف التأويل عند السلف نجده معنيان :

- **الأول** : تفسير الكلام وبيان معناه ، وبذلك يكون التأويل والتفسير مترادفين وهذا ما يعنيه ابن جرير الطبري في تفسيره حين يقول : "القول في تأويل قوله تعالى ، وكذا في قوله : اختلف أهل التأويل في هذه الآية ، فالتفسير والتأويل بمعنى واحد .
- **الثاني** : هو نفس المراد بالكلام ،فإن كان الكلام طلباً كان تأويله نفس الفعل المطلوب ، وإن كان خبراً كان تأويله نفس الشيء المخبر عنه " [1].

أمّا التأويل عند المتأخرين من الأصوليين والكلاميين فهو : " صرف اللّفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به ، وهذا هو التأويل الذي يتكلمون عنه في أصول الفقه ، ومسائل الخلاف ، وعلى هذا هناك من يرى أنّ التأويل هو التفسير وهو أعم ، وهناك من يرى أنّ التأويل غير التفسير ، والتأويل : ترجح أحد محتملات اللفظ بالدليل ، والترجيح يعتمد على الاجتهاد ويتوصل إليه بمعرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها في لغات العرب ، واستعمالها بحسب السياق ، ومعرفة أساليب العربية ، واستنباط المعاني من كل ذلك " [2].

فالتأويل اجتهادي أمّا التفسير فيرجع فيه إلى كتاب الله والمأثور من السنّة النبوية ، وإلى أقوال الصحابة – رضي الله عنهم – فيكون بذلك التأويل ظني والتفسير يقيني .

1- نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمر قندي ، مرجع سابق ، ج1، ص: 16،15.

2- محمد حسين الذّهبي ،علم التّفسير ،مرجع سابق ، ص: 8.

2-3 الفرق بين التّفسير والتّأويل :

نجد أنّ العلماء اختلفوا في التفريق بين التّفسير، والتأويل منهم من يرى أنّ التفسير مرادف للتأويل ومنهم من يرى أنّ لكلٍّ منهما معنى خاصاً به .

يتجه أصحاب الاتجاه الأول إلى أنّ التّفسير والتأويل مترادفان ، يقول أبو العباس أحمد بن يحي ثعلب : " التأويل والمعنى والتفسير واحد " ونسب السيوطي هذا القول إلى أبي عبيدة وطائفة ، ومنه دعوة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لابن عباس اللّهم فقهه في الدين وعلمه التأويل " وقول ابن عباس –رضي الله عنهما– " إنّا ممّن يعلم التأويل " يعني القرآن .

وقول ابن جرير الطبري في تفسيره: "القول في تأويل قوله تعالى" ويقول ابن جرير كذلك: " واختلف أهل التأويل في هذه الآية " فإنّ المراد بالتأويل هنا التفسير " [1].

نلاحظ أنّ هذا الفريق لا يفرّق بين التفسير والتأويل فمرادهم من التأويل هو التفسير ولا فرق بينهما .

ويذهب فريق آخر من العلماء إلى أنّ ثمّة فرقاً جوهرياً بين التفسير والتأويل، والتفسير غير التأويل.

فقال بعضهم : " إنّ التفسير أعمّ من التأويل ، يقول الراغب الأصفهاني : " التفسير أعم من التأويل وأكثروا استعماله في الألفاظ ومفرداتها ، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل ، كتأويل الرؤيا ، وأكثر ما يستعمل التأويل في الكتب الإلهية ، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها " [2].

1- فهد بن عبد الرحمن بن سليمان ، بحوث في أصول التفسير ومناهجه ، مكتبة التوبة ، دط، الرياض ، دت، ص: 8،9.

2- المرجع نفسه ، ص: 11.

فهذا الفريق يرى أنّ التفسير أعم من التأويل وذلك لأنّه يستعمل بكثرة سواء في القرآن أو غيره من الكتب.

قال أبو طالب الثعلبي : " التفسير بيان وضع اللفظ إمّا حقيقة أو مجازاً كتفسير الصراط بالطريق ، والصيّب بالمطر ، والتأويل تفسير باطن اللفظ ، مأخوذ من الأَوْل ، وهو الرجوع لعاقبة الأمر ، فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد ، والتفسير إخبار عن دليل المراد ، لأنّ اللفظ يكشف عن المراد ، والكاشف دليل ، مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾[1] .

فتفسير أنّه من الرصد ، يقال : رصدته رقبته ، والمرصاد مفعال منه وتأويل التحذير من التهاون بأمر الله والغفلة عن الأهبة والاستعداد للعرض عليه " [2].

فأصحاب هذا الرأي يتجهون إلى أنّ التفسير جامع شامل يبين وضع الكلم سواء كان حقيقة أو مجازاً، فهو بذلك لا يختلف عن معنى التأويل.

3- أهميّة علم التّفسير:

لمّا كان التفسير من العلوم المهمّة في فهم معاني كتاب الله العزيز أولاه العلماء عناية كبيرة ووضعوا له قواعد وأسساً يرجع لها المفسر " إنّ علم التفسير من أجلّ العلوم وأفضلها وأشرفها باعتبار أساسه وتاريخه ، وموضوعه وغايته ، فأساسه : القرآن الكريم والحديث الشريف ، وتاريخه : أوّل العلوم الإسلامية ، وموضوعه : كلام الله تعالى ، وغايته : معرفة معانيه وإدراك مراميه ، وسنام هذه المعرفة : التفسير بالمأثور لأهميته الكبرى في فهم القرآن العظيم : لأنّه تفسير من ربّ العالمين،أو من رسوله الأمين،أو تفسير صحابي شهد التّنـــزيل

1- سورة الفجر: 14.

2- جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، تح: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ط1، دمشق، 2008ص: 758.

وعرف التأويل ، أو تفسير تابعي نهل من مدرسة النّبوة عن الصحابة المفسرين والتابعين والأثر هو طريق التفسير الصحيح وأوجهها "[1].

فالمفسّر الذي يريد أن يفقه معاني القرآن الكريم يجب عليه أن يعتمد على المأثور من الكتاب والسنة وأثار الصحابة والتابعين حتى لا يتيه في طريق الزائغين ، ويأخذه الهوى إلى الضلال المبين ، فأمّا المأثور هو طريق التّفسير الصحيح ، المؤدي إلى فهم القرآن الكريم على مقصد الشارع الحكيم .

والتّفسير بالمأثور واجب " لمن أراد أن يستجيب لله تعالى فيتدبّر كلام الله ، وكذا لمن أراد أن يفسر بالرأي يتحتم عليه أن يطلع على معرفة : أسباب النّزول ، والناسخ والمنسوخ ، والمكي والمدني ، والغريب ، والمشكل ، والوقوف والابتداء والقراءات وأوجهها ، والقراءات الشاذة التفسيرية ، والأحاديث المبيّنة للمجمل والمبهم ، والأحاديث المخصصة للعام ، والمقيدة للمطلق ، ... وهذه العلوم لا تؤخذ إلاّ بالنقل الصحيح ولا تنفك عن التفسير بالمأثور بل هي نابعة منه "[2].

تعدّ هذه العلوم أساسية في فهم معاني القرآن الكريم ومقاصده فهي تعين المفسّر على التّفسير الصحيح.

فالقرآن الكريم أنزله الله على نبيّه – صلى الله عليه وسلّم- ليبيّنه للنّاس حتى يعملوا بأوامره، ويتوقفوا عند حدوده، " فقد كان لزاماً أن نتدبر معاني هذا القرآن وأن ندرك

1- حكمت بن بشير ياسين ، التفسير الصحيح ، دار المآثر، ط1، المدينة النبوية ،1999 ،ج1، ص: 5.

2- المرجع نفسه ، ص: 5.

مراميه لنعمل به ونتحرى ما ثبت في تفسيره لنستقيم على نهجه "[1]. وإذا استقام العبد على نهج القرآن الكريم ، والسنّة النّبوية فقد فاز – بإذن الله- في الدارين الدنيا والآخرة.

4- مراحل نشأة التّفسير:

إنّ تفسير القرآن وتحليله من العلوم المهمّة في الدين ، فقد أولاه العلماء اهتماماً بالغاً حتى وضعوا له أصولاً وقواعد تضبطه ، وهذا بعد مروره بعدة مراحل ، بدءاً من المفسر الأول النبي- صلى الله عليه وسلم – مروراً بالصحابة –رضي الله عنهم – ثمّ تلقاه التابعون عنهم إلى أن جاء عصر التدوين ، فألفت الكتب التفسيرية جامعة لآيات القرآن وسوره مرتبة ومهذبة محفوظة للاحقين من المسلمين .

4-1 – التّفسير في عهد النّبي – صلى الله عليه وسلم :

النّبي – صلى الله عليه وسلم- هو أوّل مفسر للقرآن الكريم ، أنزل الوحي عليه بواسطة جبريل فكان وحيه القرآن الكريم الذي يحمل رسالة عظيمة للبشرية ، فكان النّبي – صلى الله عليه وسلم- كلما أنزل عليه الوحي يبيّن لأصحابه – رضي الله عنهم- ما يحمله هذا الوحي من معاني ومقاصد ، كما أنّهم كانوا هم بدورهم يسألونه عن معاني الآيات التي لا يعرفون معناها ومقاصدها ، فنشأة تفسير القرآن وتحليله " ترجع إلى النّبيّ – صلى الله عليه وسلم- فقد كان الصحابة –رضي الله عنهم – يرجعون إليه في تفسير ما غمض ، وتوضيح ما صعب عليهم فهمه وإدراكه فهذا أعرابي يسأله عن معنى آية من القرآن وهي : ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾[2] .

1- حكمت بن بشير ياسين ، ،مرجع سابق ، ص: 5.

2- سورة الأنعام: 82.

قائلا:وأيّنا لم يظلم نفسه، ففسر له النّبي- صلى الله عليه وسلم- الآية بإيضاحه معنى "الظلم" بأنّه "الشرك"مستشهداً بآية أخرى من قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ﴾[1] ،فمن هذا وأمثاله يتبيّن لنا أن النّبي – صلى الله عليه وسلم- كان يبيّن لأصحابه معاني القرآن الكريم، كما يبيّن لهم ألفاظه"[2] .

فالنّبي – صلى الله عليه وسلم- في زمانه هو المفسر الذي يرجع إليه الصحابة – رضي الله عنهم – فكان يفسر لهم الوحي بالوحي سواء أكان قرآناً أم سنّة .

والصحابة – رضي الله عنهم – كانوا لا يحفظون كلّ القرآن ، بل كانوا حريصين على فهم معانيه وما يحمله من علم " وقد حدث أبو عبد الرحمن السُلمي فقال : كان الذين يقرئوننا القرآن ، كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنّهم كانوا إذا تعلموا من النّبي – صلى الله عليه وسلم- عشر آيات لم يجاوزها حتى يتعلموا ما فيها من العلم ، والعمل ، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا ، ولم يكن التّفسير في عهد النّبي – صلى الله عليه وسلم- يدوّن كعلم مستقل بنفسه وإنّما كان يروى منه عن النّبي ما كان يتعرض لتفسيره ، كما كان يُروي عنه الحديث " [3].

4-2- التّفسير في عهد الصّحابة – رضي الله عنهم:

بعد وفاة النّبي – صلى الله عليه وسلم- ظهر جمع من الصحابة – رضي الله عنهم تلقوا تفسير الوحي عنه – صلى الله عليه وسلم- وقد " اشتهر منهم في علم التّفسير جماعة كالخلفاء الراشدين ، وابن عباس وابن مسعود وزيد ابن ثابت وأبيّ بن كعب وأبي موسى

1- سورة لقمان: 13.

2-خالد بن عبد الرحمن العك ، أصول التفسير وقواعده ، دار النفائس ، ط2، بيروت ،1986 ص: 32،33.

3- المرجع نفسه ، ص: 33.

الأشعري وعبد الله بن الزبير ، ومنهم المكثرون كابن عباس وابن مسعود ومنهم من لم يكثر وذلك بسبب تقدم وفاتهم ... وقد نالوا الحظ الأوفر من ذلك الهدي والبيان النّبويّ فتلقوه بكل همة وحفظوه وطبقوه بدقة وأمانة ثمّ قدموه إلى من بعدهم من التّابعين "[1].

وقد كان الصحابة – رضي الله عنهم – حريصين على حفظ القرآن وشرحه وفهمه من النّبي – صلى الله عليه وسلم- مباشرة ، فقد عكفوا عنده " على تعلم كتاب الله تعالى ودراسته دراسة دقيقة مرتبة على الرغبة الصادقة في العمل بما جاء في القرآن من التكاليف الإلهية كما أخرج الإمام ابن جرير قال : حدثنا محمد بن علي بن الحسين بن شقيق المروزي قال : سمعت أبي يقول : حدثنا الحسين بن واقد قال : حدثنا الأعمش عن شقيق عن ابن مسعود قال : كان الرجل منا إذا تعلّم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهنّ " [2] .فالصحابة – رضي الله عنهم – كانوا يتتبعون نزول الوحي كما أنّهم كانوا حريصين على تفسيره .

– المشتهرون بالتّفسير من الصحابة – رضي الله عنهم– :

قد كان للصحابة فضل في تفسير القرآن الكريم ونقله عن النّبي – صلى الله عليه وسلم – فمنهم من نقل الكثير ومنهم من نقل القليل ، إلاّ أنّنا نجد منهم من اشتهر بالتفسير عن غيره من الصحابة – رضي الله عنهم – وسنكتفي بذكر ثلاثة ممّن كان لهم حظ وافر في تفسير القرآن الكريم .

1-حكمت بن بشير بن ياسين ، مرجع سابق ، ص: 9.

2- عبد العزيز عبد الله الحميدي ، تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنّة ، جامعة أم القرى ،دط، المملكة العربية السعودية .ص:6.

1- علي بن أبي طالب :

هو ابن عمّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم–وزوج ابنته فاطمة – رضي الله عنها – وأوّل من آمن به من قرابته ، ولد قبل بعثة النّبي – صلى الله عليه وسلم– بعشر سنين وتربى في حجر النّبي – صلى الله عليه وسلم– وشهد معه المشاهد كلها ، وكان صاحب اللّواء في معظمها ولم يتخلف إلاّ في غزوة تبوك ، روي عن عليّ أنّه كان يقول : سلوني سلوني سلوني عن كتاب الله تعالى ، فوالله ما من آية إلاّ وأنا أعلم أنزلت بليل أو نهار ، وقال ابن عباس– رضي الله عنهما – : إن جاءنا الثبت عن عليّ لم نعدل به ، وروي عنه أنّه قال : ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب [1].

2- عبد الله بن مسعود:

هو عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي ، وأمّه أمّ عبد الله كان ينسب إليها أحيانا وكان من السابقين الأولين في الإسلام ، وهاجر الهجرتين ، وشهد بدراً وما بعدها من المشاهد ، تلقى من النّبيّ – صلى الله عليه وسلم– بضعا وسبعين سورة من القرآن .

وفي صحيح البخاري أنّ ابن مسعود قال : لقد علم أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم– أنّي من أعلمهم بكتاب الله ، وقال : والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلاّ وأعلم أين نزلت ،ولا أنزلت آية من كتاب الله إلاّ وأنا أعلم فيمن نزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه .

1- ينظر: محمد صالح العثيمين ، أصول في التّفسير ، المكتبة الإسلامية ، ط1، عين شمس الشرقية ، 2001، ص:33.

3- عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

هو ابن عمّ الرسول – صلى الله عليه وسلم- ولد قبل الهجرة بثلاث سنين لازم النّبي – صلى الله عليه وسلم- لأنّه ابن عمّه وخالته ميمونة – رضي الله عنها- وضمه النّبي – صلى الله عليه وسلم- إلى صدره وقال : " اللّهم علمه الحكمة " وفي رواية "الكتاب " وقال له حين وضع له وضوءه : " اللّهم فقهه في الدين " وقد كان عمر بن الخطاب يدعوه إلى مجالسه ويأخذ بقوله ، وقد اختلف النّاس في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾[1] .حتى ختم السورة ، فقال عمر لابن عباس : أكذلك تقول ؟ قال لا : قال : فما تقول ؟، قال : هو أجل رسول الله – صلى الله عليه وسلم- أعلمه الله له ، إذا جاء نصر الله والفتح : فتح مكة فذلك علامة أجلك ، فسبح بحمد ربّك واستغفره إنّه كان تواباً ، قال عمر : ما أعلم منها إلاّ ما تعلم ، قال ابن مسعود : نعم ترجمان القرآن ابن عباس [2].

4-3- التّفسير في عصر التّابعين :

قد كان للتابعين أثر بارز في نقل روايات التفسير عن الصحابة – رضي الله عنهم – وقد كانت عنايتهم منصبة على فهم معاني القرآن الكريم وتبسيطها للاحقين ، فهؤلاء التابعون "نقلوا الروايات عن الصحابة وزادوا فيها ما استنبطوه بأنفسهم ، ومازال التفسير يتضخم في عهدهم حتى اجتمع منه الشيء الكثير ، لكن هذه الأقوال لم تكن مجموعة ولا مرتبة بشكل منظم وفق ترتيب المصحف ، بل كانت تُروى منثورة تفسير لآيات متفرقة بين روايات لا علاقة لها بالتفسير " [3].

1- سورة النصر: 1-3.

2- ينظر: محمد صالح العثيمين ، مرجع سابق،ص:34،35،36.

3- محمد بن لطفي الصباغ، بحوث في أصول التفسير، المكتب الإسلامي، ط1،بيروت، 1988 ص:208،209.

وبكون التابعين أنّهم عايشوا الصحابة واحتكوا بهم ونقلوا عنهم فـــ" لم يكن ثمة فارق كبير بين منهج الصحابة – رضي الله عنهم – ومنهج التابعين فلقد تلقى التابعون تفسيرهم من الصحابة " [1] . كما أوضحنا سابقاً .

وقد حمل التابعون على عاتقهم هذه المسؤولية العظيمة لحمل هذا العلم ونقله للبشرية محفوظا من كل شائبة " فتحملوا هذا العلم وكرسوا اهتمامهم وبذلوا جهودهم لتلقي ما ورد من آثار لبيان معاني ومرامي هذا القرآن الكريم ، فعرفوا تفسيره وأسباب نزوله ، وفضائله وأمثاله وأحكامه وأقسامه ، وغريبه ومعربه ، وبيّنوا المحكم من المتشابه ، والناسخ والمنسوخ ، والعموم من الخاص ، والمفصل من المجمل والمقدم من المؤخر ، والمطلق من المقيد "[2] .

كان للتابعين فضل كبير لما بذلوه من جهد لبيان مقاصد القرآن الكريم وتبسيط فهم معانيه ، حتّى أنّهم كانوا عارفين بدقائق الآيات والسور ، فلا يتجرؤون على التفسير إلاّ عن علم وبصيرة .

– المشتهرون بالتّفسير من التّابعين :

قد تلقى التابعون تفسير القرآن الكريم عن الصحابة –رضي الله عنهم– فتعلموا منهم ، كما أنّهم كانوا حريصين على حفظ ما تعلموه من تفسير لتعم المنفعة ويجد المسلمون ما يحتاجون في تفسير القرآن الكريم ، وقد اشتهر منهم جماعة أكثروا من التفسير سنكتفي بذكر بعضهم .

1- فهد بن عبد الرحمن الرومي ، مصدر سابق ، ص: 30.

2- حكمت بن بشير ياسين ، مرجع سابق ، ص:09.

1- أهل مكة : وهم أتباع ابن عباس ، كمجاهد وعكرمة ، وعطاء بن أبي رباح .

2- أهل المدينة : وهم أتباع أبيّ بن كعب ، كزيد بن أسلم وأبي العالية ، ومحمّد بن كعب القرضي .

3- أهل الكوفة : وهم أتباع ابن مسعود ، كقتادة وعلقمة والشعبي .

1- مجاهد :

هو مجاهد بن جبر المكي ، ولد سنة إحدى وعشرين من الهجرة وأخذ تفسير القرآن عن ابن عباس –رضي الله عنهما- وكان سفيان الثوري يقول : إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به ، واعتمد تفسيره الشافعي، والبخاري كان كثيراً ما ينقل عنه في صحيحه ، وقال الذهبي في آخر ترجمته : أجمعت الأمة على إمامة مجاهد والاحتجاج به توفي (104هـ).

2- قتادة :

هو قتادة بن دعامه السدسي البصري ، ولد أكمه – أي أعمى – سنة (61هـ) ، جدّ في طلب العلم وكان له حافظة قوية حتى قال عن نفسه : ما قلت لمحدث قط أعد لي ، وما سمعت أذناي شيئاً قط إلاّ وعاه قلبي ، وقال الإمام أحمد : هو أحفظ أهل البصرة ، ولم يسمع شيئاً إلاّ حفظه ، توفي سنة (117هـ) [1] .

1- ينظر: محمد صالح العثيمين ، مرجع سابق،ص:38،39.

4-4 التفسير في عصر التدوين:

التّفسير في المرحلة الأولى كان مشافهة حيث كان الصحابة – رضي الله عنهم – يروون تفسير الآيات والسور عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ويروي بعضهم عن بعض وصولاً إلى عصر التّابعين فحينها دون تفسير القرآن الكريم مع حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم– فكانت أبوابه متنوّعة ، وكان التّفسير باباً من هذه الأبواب التي اشتمل عليها الحديث ، فلم يرد له تأليف خاص يفسر القرآن ، سورة سورة وآية آية ، بل وجدنا العلماء من طرف الأمصار المختلفة ليجمع الحديث ، فجمع بجوار ذلك التفسير المنسوب إلى النّبي – صلى الله عليه وسلم– أو إلى الصحابة – رضي الله عنهم ــ أو إلى التابعين – رضي الله عنهم ــ ومن هؤلاء : يزيد بن هارون السلمي (ت 117هـــ) وشعبة بن الحجاج (ت160هـــ) وسفيان بن عيينة (ت198هـــ) ، ووكيع بن الجراح (ت(197هـــ) ، وروح بن عبادة البصري (ت 205هـــ) وغيرهم كثير، وهؤلاء جميعهم كانوا من أئمة الحديث ، فكان جمعهم للتفسير جمعا لباب من أبواب الحديث و لم يكن جمعاً للتفسير على استقلال وانفراد "[1] .

ثم تأتي خطوة ثانية " انفصل بها التفسير عن الحديث فأصبح علماً قائماً بنفسه ، ووضع التفسير لكل آية من القرآن الكريم ، ورتب ذلك على ترتيب المصحف ، وتم ذلك على أيدي طائفة من العلماء منهم : ابن ماجة (ت 273هـــ) وابن جرير الطبري (ت310هـــ) وأبو بكر بن المنذر النيسابوري (ت318هـــ) وابن أبي حاتم (ت327هـــ) وأبو الشيخ بن حيان (ت369هـــ) والحاكم (ت405هـــ) ، وأبو بكر بن مردويه (ت410هـــ) "[2].

1- محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مصدر سابق ،ص: 103، 204.

2- المصدر نفسه ،ص: 105.

إنّ هذه المرحلة كانت بداية تدوين تفسير القرآن الكريم مرتباً ترتيباً منظماً وفق ترتيب المصحف ، إذ أصبح مستقلا، فالمفسر يجد ضالته في هاته المؤلفات التفسيرية مع سهولة طلب المبتغى من تفسير أي آية من القرآن .

ثمّ تأتي مرحلة تالية للمرحلة السابقة ، وهي بمثابة تدوين كل ما أثرمن تفسير لآيات القرآن الكريم مع بروز سمات تأصيل التفسير ووضع قواعد تضبطه " تبدأ هذه المرحلة في أواخر العصر الأموي وأوائل العصر العباسي انتشر التدوين بصورة واسعة ، وعني العرب بتدوين كل ما يتصل بدينهم الحنيف ، فقد تأسست في كل بلدة إسلامية مدرسة عنيت بتفسير الذكر الحكيم ، ورواية الحديث النّبوي الشريف ، وتلقين النّاس الفقه وشؤون التشريع، وكان كثير من المتعلمين في هذه المدارس يحرصون على تدوين ما يسمعون" [1].

فهذه المرحلة اتسمت بتدوين كل ما يحتاجه النّاس في أمر دينهم من علوم .

وأمّا من ألّف في التّفسير كتاباً مدوناً مرتباً فقد اختلف في أوّل من ألّف تفسيراً مكتوباً ، وذكر ابن النديم : أنّ العباس ثعلب قال: كان السبب في إملاء كتاب الفراء في المعاني ، أنّ عمر بن بكير كان من أصحابه وكان منقطعا إلى الحسن بن سهيل فكتب إلى الفراء : إنّ أمير المؤمنين الحسن بن سهيل ربما سألني عن شيء بعد شيء من القرآن فلا يحضرني في جوابه فإن رأيت أن تجمع لي أصولاً، أو تجعل في ذلك كتاباً أرجع إليه فعلت ، فقال الفراء لأصحابه : اجتمعوا حتّى أملي عليكم كتابا في القرآن ... فقال الفراء لرجل ، اقرأ بفاتحة الكتاب نفسرها ، ثمّ نوفي الكتاب كله ، فقرأ الرجل وفسّر الفراء ، قال أبو العباس : لم يعلم أحد قبله مثله ، ولا أحسب أنّ أحداً يزيد عليه ، وبذلك يكون ابن النديم عدّ الفراء أوّل من ألّف تفسيراً للقرآن الكريم مدوناً "[2].

1- نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي ، مصدر سابق ، ص: 44.

2- المصدر نفسه ، ص: 44.

يكون هذا العمل الذي باشره الفراء في عملية التفسير هو بداية أوّل مؤلف في التفسير يشمل جميع آيات وسور القرآن الكريم ، إلاّ أنّنا نجد هناك من يرى خلاف من قال أنّ الفراء هو أوّل من ألّف في التّفسير ، إذ يذكر ابن حجر أنّ : " التفسير المدوّن كان قبل الفراء وقبل ابن جريج إذ يقول : وكان عبد الملك بن مروان (68هـ) سأل سعيد بن جبير (ت95هـ) أن يكتب إليه بتفسير القرآن فكتب سعيد بهذا التفسير ، فوجده عطاء بن دينار في الديوان فأخذه فأرسله عن سعيد بن جبير "[1] .

فهذان الرأيان متضاربان ، إذ يصعب علينا تحديد أوّل من ألّف تفسيراً كاملا للقرآن الكريم ، لكن يتبين لنا أنّ هذه المرحلة هي انطلاقة بداية التأليف في التفسير سواء على يد الفراء أو سعيد بن جبير .

إنّ عصر التدوين كان مهدا لظهور عدة مناهج تفسيرية ، لكن نجد الإمام القرطبي – رحمه الله – في هذا العصر قد أرسى معالم " المنهج التفسيري الجامع، وقد كان المفسرون يحاولون الاقتداء به والاقتراب منه ، فظهرت في تفاسيرهم الأسس الثلاثة للمنهج الجامع وهي : اللغة ، والأثر ، والاستنباط على تفاوت بينهم في تحقيق هذه الأسس الثلاثة "[2].

ومنه يبدو أنّ هذه المرحلة كانت فاصلة في ظهور منهج تحليل القرآن الكريم المبني على أسس منهجية موضوعة ، وضعها الإمام الطبري– رحمه الله- وتابعه في ذلك بعض المفسّرين .

وممّا سبق يتبيّن لنا أنّ التحليل كان منذ عهد النّبي – صلى الله عليه وسلم – إذ كان يفسر لأصحابه القرآن بالقرآن أو من سنته ، ثمّ ما نجده كذلك في عصر الصحابة – رضي الله عنهم- من خلال ما نقلوه عن النبي – صلى الله عليه وسلم–أو ما فسروه هم بأنفسهم

1- نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي ، مصدر سابق، ص: 44.

2- صالح عبد الفتاح الخالدي ، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين ، دار القلم ، ط3، دمشق، 2008،ص:41

لبعضهم ، ثمّ التابعين وصولاً إلى عصر التدوين الذي بدت فيه المناهج تلوح في الأفق إلاّ أنّ منهج تحليل القرآن الجامع كان على يد الإمام الطبري واتبعه في ذلك المفسرون ، إلاّ أنّ كلّ واحد منهم يفسر القرآن وفق العلم الذي يجيده ، فظهرت اتجاهات تحليلية متعدّدة ، وهو ما سنتحدث عنه في الفصل الموالي .

الفصل الأول:مناهج التحليل عند المفسرين.

-منهج التّحليل النقلي (الأثري).

-منهج التّحليل بالرأي (العقلي).

-منهج التّحليل عند المتـــكلمين .

- منهج التّحـــليل الإشـاري.

الفصل الأول: مناهج التّحليل عند المفسرين.

إنّ علم التّفسير من العلوم الشرعية الشريفة التي اهتم العلماء بها ، فحاولوا شرح وفهم آيات القرآن بطرق ، ومناهج توصلهم إلى المعنى والمقصد الصحيح ، إلاّ أنّ مناهج التحليل عند علماء التفسير اختلفت اختلافاً متبايناً ، يظهر هذا الاختلاف من خلال تفاسيرهم ومؤلفاتهم ، فمنهم من اتبع منهج التحليل النقلي (المأثور) ؛ أي ما أثر عن النّبي– صلى الله عليه وسلم– وعن الصحابة والتابعين– رضي الله عنهم– ومنهم من جعل الرأي هو مستنده في تحليل آي القرآن الكريم مع ما يحوزه من معارف لغوية ومقامية ، ومنهم من جعل منهجه في التّحليل الكلام والمبادئ المذهبية ، كالفرق والطوائف الإسلامية التي تريد خدمة مذهبها ، ومنهم من جعل منهج تحليله الإشارة كالصوفية الذين يؤوّلون القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأربابهم.

1- منهج التّحليل النقلي (الأثري):

إنّ منهج التّحليل النقلي (الأثري) هو أحد مناهج التفسير المهمّة والمعتمدة في استنطاق معاني كلمات القرآن وتحليلها وذلك ، أنّه يستند إلى ما أثر من تفسير القرآن عن النّبي– صلى الله عليه وسلم – وما نقله الصحابة – رضي الله عنهم– وفسّروه ، وما نقل عن التابعين ، فهذا منهج واضح المعالم من حيث مبادئه .

1-2- تعريف المنهج النقلي :

إنّ منهج التحليل بالنقل هو منهج : " يشمل التفسير المأثور ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته وما نقل عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – وما نقل عن

الصحابة – رضي الله عنهم- وما نقل عن التابعين – رضي الله عنهم- من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم "[1].

إنّ هذا المنهج يجعل الكتاب والسنة ، وآثار الصحابة ، والتابعين أساساً له في التفسير ، والشرح ، للآيات والسور القرآنية ، فالعلماء المفسرون يعتمدونه كثيراً لما فيه من الأدلة القطعية اليقينية في التفسير .

1-3- مصادر المنهج النقلي :

يعتمد المنهج النقلي في تحليل القرآن وتفسيره على عدّة مصادر منها : القرآن الكريم والسنة النّبوية الصحيحة ، و ما أثر عن الصّحابة والتابعين – رضي الله عنهم - .

أ- القرآن الكريم :

إنّ القرآن الكريم أساس في تفسير الآيات حيث إنّ القرآن يفسر بعضه بعضا " فتفسير القرآن بالقرآن من أشرف أنواع التفسير وأجلّها ، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله من الله – عزّ وجلّ – ومن أمثلة تفسير القرآن بالقرآن جملة (**يَوْمُ الدِّينِ**) في سورة الفاتحة في قوله تعالى :﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾[2].ففسرت آية أخرى المراد من هذه الجملة في قوله تعالى:﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ۝١٩ ﴾[3]. ووردت كلمة (كلمات) في قوله سبحانه وتعالى: ﴿

1- محمد حسين الذهبي ،التّفسير والمفسرون، مصدر سابق ، 112.

2- سورة الفاتحة: 4.

3- سورة الانفطار: 17-19.

فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ ﴾[1] .وفسرت آية أخرى المراد من هذه الكلمة في قوله تعالى: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[2] .

ب- السّنّة النّبوية :

تعتبر السنة مصدراً من مصادر تفسير القرآن الكريم ، فهي كذلك وحي ، فهي موضحة وشارحة للقرآن الكريم ، فما نجده غامضاً في القرآن تبيّنه السنة وتوضحه "فتفسير القرآن بما ورد عن النّبي – صلى الله عليه وسلم – من تفسير فإنّه يلي تفسير القرآن بالقرآن ، وقد فسّر النّبي –صلى الله عليه وسلم – عدداً كبيراً من الآيات ، يستشهد لذلك ما جاء في كتب الحديث من تفسيره للقرآن الكريم .

فقد جاء في صحيح البخاري ، وسنن الترمذي وغيرهما أبواب طويلة في تفسير القرآن الكريم ، قال ابن تيمية – رحمه الله- : " يجب أن يعلم أنّ النّبي – صلى الله عليه وسلم – بيّن لأصحابه معاني القرآن كما بيّن لهم ألفاظه ، فقوله تعالى :﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ ﴾[3] . يتناول هذا وهذا "[4].

ومن أمثلة تفسير القرآن بالسنة، تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ﴾[5] . جاء في صحيح البخاري عن عدي بن حاتم – رضي الله عنه – قال : قلت يا رسول الله : ما الخيط الأبيض من الخيط الأسود ، أهما الخيطان ؟ .

1- سورة البقرة: 37.

2- سورة الأعراف: 23.

3-سورة النحل: 44.

4- محمد لطفي الصباغ ،لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير ،مصدر سابق، ص: 261.

5- سورة البقرة: 187.

قال النّبي – صلى الله عليه وسلم – " إنّك لعريض القفا إن أبصرت الخيطين " ، ثمّ قال : " بل هو سواد الليل وبياض النّهار "[1] .

نلاحظ أنّ النّبي– صلى الله عليه وسلم – بيّن للصحابي –رضي الله عنه– معنى الخيط الأبيض والخيط الأسود، بما علمه من تفسير من سنته وهي كذلك وحي من الله.

ج– أقوال الصحابة:

الصحابة – رضي الله عنهم – هم كذلك مصدر من مصادر تفسير القرآن الكريم، فكثير منهم اشتهروا برواية التفسير.

وقد حصر جلال الدين السيوطي " الممتازين في عصر الصحابة بدقة المعرفة في تفسير القرآن ، كما تولى حصر الممتازين بالاجتهاد للرجوع إليهم في الفتوى فذكر في كتاب الإتقان : أنّ أعلم الصحابة بالتفسير ، وأنّهم امتيازاً من البقية بطول الباع في الإعراب عن معاني القرآن ، بصورة مُسَلّمٌ لهم فيها من بقية معاصريهم من الصحابة ، إنّما هم الخلفاء الأربعة : أبو بكر الصديق ، وعمر ، وعثمان ، وعلي –رضي الله عنهم– ثمّ عبد الله بن مسعود ، والزبير بن العوام ، وزيد بن ثابت ، وأُبي بن كعب ، وأبو موسى الأشعري ، وعبد الله بن عباس – رضي الله عنهم "[2] .

فالصحابة – رضي الله عنهم– مرجع مهم في التفسير وركيزة أساسية في فهم القرآن الكريم: فالخلاف بينهم قليل جداً.

1– محمد لطفي الصباغ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير ، مصدر سابق،، ص: 262.

2– محمد الفاضل بن عاشور ، التفسير ورجاله ، مجمع البحوث الإسلامية ، الأزهر ، دط ، 1970، ص: 15، 16.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- :" ولهذا كان النـــزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليلاً جداً ، وهو وإن كان في التابعين أكثر منه في الصحابة فهو قليل بالنسبة إلى من بعدهم "[1] .

ومن أمثلة تفسير الصحابة كثير نذكر منها ما يلي:

جاء في صحيح البخاري في تفسير قوله تعالى:﴿ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ ﴾[2] . قال ابن عباس – رضي الله عنه : الأزلام القدح يقتسمون بها في الأمور والنصب أنصاب يذبحون عليها .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾[3] . فقد صحّ عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنّه فسّر الملامسة بالجماع "[4].

د- أقوال التّابعين :

لاشك أنّ التابعين عاصروا الصحابة وجالسوهم فأخذوا منهم مختلف العلوم بما في ذلك تفسير القرآن الكريم، فهم كذلك مصدر في تفسير القرآن وشرحه فهم جسر وصل بين القرون السابقة والأجيال اللاحقة.

وقد عدّ أحمد ابن تيمية – رحمه الله- التابعين أساساً في فهم القرآن الكريم حيث يقول " إذا أجمعوا – التابعين- على شيء فلا يرتاب في كونه حجة ، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم "[5].

1- محمد بن بكر إبراهيم آل عابد، دراسات في التفسير وعلوم القرآن، المكتبة العامة،دط، المدينة المنورة ، 1430هـ ص:27.

2- سورة المائدة: 90.

3- سورة النساء: 43.

4- محمد صالح العثيمين ، مصدر سابق ، ص:26.

5- المرجع نفسه ، ص: 27.

فالتابعون إذا أجمعوا على مسألة من مسائل التفسير و لم يختلفوا عليها فهم حجة في التفسير وإذا اختلفوا فلا يكون حجة ، وهذه إشارة جيدة من ابن تيمية – رحمه الله – ومن أمثلة ما فسره التابعون ما يلي :

جاء في صحيح البخاري في تفسير قوله تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ ﴾[1] .

عن السعيد بن المسيب قال : البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس ، والسائبة كانوا يسيبونها لآلهتهم التي لا يحمل عليها شيء "[2] .

إنّ منهج التحليل بالمأثور منهج يتأسس على مصادر مهمة في التفسير فنجد أكثر العلماء قد اعتمدوه في تفسيراتهم ، إذ يعتمد في مصادره على تفسير الرسول – صلى الله عليه وسلم – وتفسير الصحابة و التابعين – رضي الله عنهم – وهذه أعمدة التفسير .

2- منهج التّحليل بالرأي (العقل) :

يعتبر منهج التّحليل العقلي من المناهج التي انتشرت في تفسير القرآن وتحليله، وقد اختلف العلماء في قبول هذا المنهج، فمنهم من يرى جواز تحليل القرآن بالرأي ومنهم من يرى المنع، ومنهم من قيّد جواز ذلك بشروط ولكل طائفة منهم أدلة.

2-1- تعريف المنهج العقلي :

إنّ منهج التحليل العقلي هو أحد مناهج تفسير القرآن يرتكز أساساً على الاجتهاد والفهم العميق وقد سمى العلماء : " التفسير العقلي بالتفسير بالرأي ، ويطلق الرأي في الاصطلاح على الاجتهاد ، ومنه أُطلق على أصحاب الفقه أصحاب الرأي " [3] .

1- سورة المائدة: 103.

2- محمد لطفي الصباغ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير ، مصدر سابق، ص: 263.

3- خالد عبد الرحمان العك ، مرجع سابق ، ص:167.

وقد عرّفه محمد حسين الذّهبي –رحمه الله– بقوله : " التّفسير بالرأي عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته لألفاظ العربية ووجوه دلالتها ،واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي ووقوفه على أسباب النّزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر "[1].

فالتّفسير بالعقل يرتكز على قواعد اللغة العربية وما يلامسها من الظروف الخارجية كأسباب النّزول وغيرها، ومع موافقتها سنن العرب في كلامها حيث لا يخالفها.

وفي تعريف آخر لمنهج التحليل بالرأي : " تفسير القرآن بالرأي أي بالنظر المجرد الذي لا يخالف اللغة ، بل يستعين بمناهجها ، ولا يخالف السنّة بل يعتمد على الصحيح من أسانيدها إن صحت عنده ، ولا يناقض تفسير الصحابة المأثور ، ولا أسباب النّزول التي صحّت بسند صحيح "[2].

فالتّفسير بالرأي لا يكون تفسيراً مقبولاً صحيحاً إلاّ إذا وافق المأثور عن النّبي – صبى الله عليه وسلم – وعن صحابته الكرام ، والتابعين ، موافقا للمناهج العربية وما سنته العرب في كلامها .

2-2- نشأة منهج التّحليل العقلي :

إنّ نشأة تفسير القرآن بالرأي لم يكن حديث عهد بل ظهر زمن الصحابة – رضي الله عنهم – فقد كانوا يجتهدون في تفسير بعض كلمات القرآن التي يصعب فهمها ، ونجد من الصحابة الذين كان لهم اجتهاد في تفسير القرآن برأيه : " أبو بكر الصديق ، وعمر وعثمان وعلي وعبد الله بن مسعود – رضي الله عنهم– ثمّ اتسع هذا المنهج واتخذ شكلاً مدرسياً على يد عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما– حيث ثبت عنه تفسير لنصوص قرآنية

1- محمد عبد الله أبو صعيليك، ابن حزم وآراءه في علوم القرآن والتفسير ، دار البشر ، ط1، عمان ، 2002، ص: 112.

2- المصدر نفسه ، ص: 120.

بالمدلول اللغوي مستشهداً على صحة تفسيره ، بما شابه مدلول الكلمة في الشعر العربي القديم "[1] .

فمنهج فهم معاني القرآن بالرأي كان منتشراً ومعروفاً زمن الصحابة إلاّ أنّه كان قليلاً ولا يمارسه جميع الصحابة، بل كانوا يتحرّون ما يقولون ويحرصون على التفسير الصحيح.

وقد يسر الله عزّ وجلّ لابن عباس تفسير القرآن الكريم حتى لُقِبَ بترجمان القرآن، وقد دعا له النّبي – صلى الله عليه وسلم- بقوله: " اللهم علمه التّأويل وفقهه في الدين "[2] .

يقول ابن كثير –رحمه الله –بعدما أشار إلى تحرج السلف– رضي الله عنهم- عن الكلام في التفسير بغير علم: "فأمّا من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه "[3] .

فالتفسير بالرأي عمل صعب، يجب على المقدم على هذا الأمر أن يلتزم بقواعد هذا النّوع من التفسير حتى لا يقع في المحظور، فالعلوم الشرعية والعلوم اللغوية أساس فيه.

2-3- موقف العلماء من المنهج العقلي :

للعلماء مواقف مختلفة من تحليل آيات القرآن الكريم وتفسيرها بالرأي، فمنهم من أجاز فهم معاني القرآن بالرأي، ومنهم من منعه، ومنهم من أجازه بشروط.

أ- المانعون :

"يذهب أصحاب هذا الاتجاه إلى منع تفسير القرآن الكريم بالعقل مستدلين على موقفهم بأدلة أهمّها:

1- قالوا: إنّ التفسير بالرأي قول على الله بغير علم، وهو غير جائز .

1- مساعد مسلم آل جعفر ، محي هلال السرحان ، المصدر السابق ، ص: 98.

2- المرجع نفسه ، ص: 98.

3- أحمد شاكر، عمدة التفسير عن الحافظ بن كثير، دار الوفاء، ط8، مصر، 2007، ج1، ص: 44

2- واستدلوا بالآية الكريمة " ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[1] . وفهموا من الآية أنّ البيان للرسول – صلى الله عليه وسلم – وليس لغيره إلاّ أن ينقل قوله بعد تحري ما صح.

3- واستدلّوا بالحديث " اتقوا الحديث عني إلاّ ما علمتم ، فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ، ومن قال في القرآن برأيه ،فليتبوأ مقعده من النّار " وبالحديث " من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ" .

4- استدلوا بامتناع كثير من الصحابة والسلف من القول في تفسير القرآن كأبي بكر – رضي الله عنه– وسعيد بن المسيب والشعبي والأصمعي "[2] .

فالمانعون لتفسير القرآن بالرأي يتوقفون عند أدلة تمنعهم من أن يفسروا القرآن من تلقاء أنفسهم ، لأنّ هذا الأمر فيه وعيد شديد ولو كان جائزاً ما حذر النبي – صلى الله عليه وسلم – من أن يفسر القرآن بالرأي .

ب- المجيزون:

أمّا المجيزون لتحليل آيات القرآن الكريم بالرأي، فقد ردوا أدلة المانعين واحتجوا بأدلة عديدة منها:

1- قالوا: إنّ القرآن نفسه يأمر بالتدبر والاستنباط واستشهدوا بقوله سبحانه:

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾"[3] .

1- سورة النحل: 44.

2- محمد بن لطفي الصباغ ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير ، مصدر سابق، ص: 279، 280.

3- سورة النساء :83.

2- وبقوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[1] . وبقوله عزّوجلّ : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[2] . ولا يكون التّدبر إلاّ بالتأمل الذي يعتمد على الفهم وإعمال الفكر والاجتهاد، وبذلك يكون القرآن نفسه آمراً بالتفسير بالرأي.

3- لو كان الاجتهاد بالرأي غير جائز لما كان الاجتهاد جائزاً ، ولتعطلت بسبب ذلك كثير من الأحكام الشرعية .

4- فسّر الصحابة القرآن ،واختلفوا في تفسيره على وجوه ، و لم يسمعوا كل شيء قالوه من النّبي – صلى الله عليه وسلم- بل هناك من الأقوال ما سمعوه ، وهناك ما اجتهدوا فيه ، هذا ومن المروي عن النّبي – صلى الله عليه وسلم – دعاؤه لابن عباس " اللهم فقّهه في الدين وعلّمه التّأويل "[3] .

فأصحاب هذا الاتجاه يرون أنّ التدّبر في آيات الله والتأمل فيها لا يكون إلاّ بالاجتهاد، وهو تفسير بالرأي، كما أنّهم أشاروا إلى أنّ الصحابة قد فسّروا آيات برأيهم واختلفوا وهو ما يدل على جوازه.

ج- المجيزون بشروط:

رغم اختلاف العلماء في تفسير القرآن بالرأي إلاّ أنّنا نجد فريقا ثالثا قد أجاز فهم القرآن و تفسيره بالرأي لكن بشروط يرون أنّها تحفظ التفسير الصحيح لآيات القرآن الكريم ، أهم هذه الشروط هي :

1- أن يتصف المفسر بالصفات الضرورية للمفسر، وأن يتأدب بالآداب التي لا بدّ له منها:

1- سورة محمد: 24.

2- سورة ص: 29.

3- محمد بن لطفي الصباغ ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير ، مصدر سابق ،ص:282،283.

2- أن يلمّ المفسّر بالعلوم الأساسية التي لا بدّ منها، ليحسن فهم القرآن وتفسيره وبيان معانيه.

3- وأن يتجنب الأخطاء التي نبّه عليها العلماء، وأن يحرص على عدم الوقوع فيها أثناء تفسير القرآن.

4- أن لا يدخل عالم القرآن بمفردات فكرية سابقة، وأن لا يجعل القرآن تابعاً لمقرراته المخالفة للقرآن الكريم.

5- أن يتخلى عن الهوى في تفسيره وإعمال رأيه، لأنّ الهوى يحجبه عن حسن فهم القرآن الكريم، ويقوده إلى الوقوع في الخطأ.

6- أن لا يخالف في تفسيره آيات أخرى، وأن لا يتعارض رأيه مع مقررات الآية الأخرى.

7- أن لا يخالف في تفسيره الأحاديث الصحيحة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- وأن لا يقرر آراء تتعارض مع ما تقره تلك الأحاديث.

8- أن لا يتعارض في تفسيره مع معاني اللغة العربية ، وأن لا يفسر ألفاظ وتراكيب القرآن الكريم تفسيراً يخالف معاني اللغة العربية واستعمالاتها وتصريفاتها.

9- أن لا يكون متأثراً بالأفكار والمذاهب المعادية المخالفة التي يعتنقها الكفار وأن لا يكون مهزوماً نفسياً أمامهم ، وأن لا يجزم أن ما يقدمه من تفسير بالرأي هو مراد الآية ولا يقطع بأنّ هذا مقصودها " [1] .

1- صالح عبد الفتاح الخالدي ، مرجع سابق ، ص: 423، 424.

3- منهج التّحليل عند المتكلمين :

يعتمد أصحاب هذا المنهج على إراد الأدّلة العقلية في تفسيرهم القرآن الكريم ، كما أنّ أوّل مسألة خاض فيها المتكلمون هي خلق القرآن ، ومنه ظهر علم الكلام .

3-1- تعريف علم الكلام:

علم الكلام هو علم من العلوم التي استغلتها الفرق والطوائف الإسلامية في خدمة مناهجها ، وقد عرّف:"بالعلم الذي يبحث في العقائد بالأدّلة العقلية والردّ على المخالفين ، وسمي المشتغلون به المتكلمين ، واختلفوا في سبب تسميته فقالوا: لأنّ أهمّ مسألة وقع فيها الخلاف في العصور الأولى ، مسألة كلام الله وخلق القرآن ، أو لأنّ السلف يسكتون، أو لأنّه مرادف لكلمة منطق"[1] .

3-2- نشأة المنهج الكلامي :

إنّنشأة منهج التحليل عند المتكلمين كانت وليدة ظهور طوائف إسلامية مختلفة العقائد ، اتخذت الكلام عماداً في إثبات أدلتها ، وقد "حاول كلّ فريق مناصرة رأيه بأن يوجد له أساس في الدّين ، فأدى ذلك إلى تأويله للآيات القرآنية بما يتفق مع مذهبه ، وأن يضع من الأحاديث ما يناصر رأيه، وأدى ذلك إلى صبغ العقيدة بصبغة فلسفية ، وفهم للعقيدة ذا مسحة عقلية "[2] .

فالميولات المذهبية وتأويل الآيات القرآنية أدى إلى ظهور هذه الفرق الكلامية التي تبني عقيدتها على أساس فلسفية و عقلية .

1- أبو علي عمر بن محمد بن حمد بن خليل السكوني المغربي المالكي ، التمييز لما أودعه الزّمخشري من الاعتزال ، في تفسير الكتاب العزيز ، تح : السيد يوسف أحمد ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 2005، ج1، ص: 4.

2- علي عبد الفتاح المغربي ، الفرق الكلامية الإسلامية ، مكتبة وهبة ، ط2، القاهرة ، 1995، ص: 54.

وبعد ظهور هذه الطوائف الكلامية ، كثر الكلام في كلام الله بغير علم " اضطر المسلمون إلى مجادلة مخالفيهم ، الذين التقوا بهم بعد امتداد الفتح الإسلامي للبلدان الكثيرة شرقاً وغرباً ، فكانت مناقشات بينهم وبين أصحاب الدّيانات الشرقية القديمة ، وبينهم وبين أصحاب الدّيانات السّماوية السابقة في الإسلام كاليهودية والنصرانية " [1] .

وما ساهم في نشأة هذا المنهج عند المتكلمين هو دفاع علماء الإسلام عن المنهج الإسلامي ، بمجادلتهم كل من تجرأ على القول في القرآن الكريم أو السنة النّبوية بغير علم ، فعلماء الإسلام جاهدوا هؤلاء الطوائف بالعلم والأدلة الشرعية الثابتة في الكتاب والسنة .

إنّ أصحاب هذا المنهج سلكوا مسلكاً مغايراً لما كان عليه السلف من الصحابة وعلماء الإسلام، " فكانت طريقة المتكلمين وشيوخهم مغايرة لما كانت عليه قواعد الدّين من فطرة الله التي فطر النّاس عليها، فكان الناس على الفطرة بالنظر إلى آيات الله والإيمان النقي دون الدخول في بحوث وجدال ، وفهموا الآيات فهماً مجملاً ، واكتفوا بهذا الفهم ، بينما أراد المتكلمون أن يبرهنوا على ذلك بالأدلة العقلية المنطقية ، و لم يؤمنوا بالمتشابهات جملة من غير تفصيل ، ولكن عمدوا إلى الآيات التي فيها خلاف ، كالجبر والاختيار ، فسلطوا عليها عقولهم ، فأداهم النظر إلى رأي ، فإذا ظهرت تخالف الأولى تأوّلوها ، فإن أدّاهم البحث إلى أنّ الإنسان مختار أوّلوا الآيات التي تشعر بأنّه تعالى في السّماء أوّلوا الاستواء على العرش ، وأوّلوا الأخبار الواردة في رؤية النّاس لله وهكذا ، فالتأويل عنصر من عناصرهم"[2].

1- علي عبد الفتاح المغربي ، مرجع سابق ، ص: 59.

2- الإمام أبي علي عمر بن محمد بن خليل السكوني ، مرجع السابق ، ص: 4.

فهذا هو طريق أهل الكلام دائماً فهم يتأوّلون القرآن ويوجهونه على حساب معتقدهم ومبادئهم المبنية على الاتجاه المذهبي، والقواعد التي تخدم مذهبهم ، فهذا هو طريق أهل الكلام .

3-4- مذهب الكلام عند المعتزلة:

يعدّ المتكلمون من المعتزلة من أبرز الفرق الإسلامية التي كان لها أثر في بروز منهج المتكلمين ، وذلك بما تصدروا من القول في القرآن الكريم وكذا قضايا النظم والإعجاز ، وهذا دائماً لخدمة مذهبهم الاعتزالي ، ومن البارزين في هذا الاتجاه الزمخشري صاحب "الكشاف" " فتفسيره محشو بالبدعة وعلى طريقة المعتزلة ، من إنكار الصفات والرؤية والقول بخلق القرآن ، وأنكر أن الله مريد للكائنات ، وخالق لأفعال العباد ، وغيرهم من أصول المعتزلة ، وأصولهم خمسة ، التوحيد والعدل ، والمنـــزلة بين المنـــزلتين ، وإنفاذ الوعيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر "[1] .

فهذه الفرقة الكلامية من الفرق الإسلامية التي أسست قواعد ومبادئ لفهم القرآن الكريم بم يخدم مذهبهما كما هو معروف.

يغلب على المنهج الكلامي المعتزلي الطابع العقلي البلاغي في تفسير القرآن الكريم " فالمذهب الكلامي والعقلي واضحان في منهج الزمخشري، فهو يتناول الآيات بما يناسب نحلته ، ويصرفها عن ظاهرها بتكلف وتعسف مثال ذلك تفسيره لقوله تعالى : "نَاظِرَةٌ" في الآية الواردة في سورة القيامة : ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ۝ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ

1- محمد السيد الجليند ، دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية ، مؤسسة علوم القرآن ، ط2، دمشق ، 1984 ، ج1، ص:86.

نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[1] .لترى مدى التعسف وتحميل النصوص مالا تحتمل ذلك لأنّ المعتزلة يرون أنّه لا يمكن رؤية الله أبداً ، وهو كذلك في كلّ آيات الصفات يصرف الآية عن ظاهرها ، ويعتمد على المجاز والاستعارة وقد يلجأ إلى ردّ دلالة الآية التي لا توافق مذهبه ، يلجأ إلى ادعاء أنّها من المتشابه ، يقف ذلك الموقف أمام النصوص التي تصادم مذهبه إن لم يمكنه تأويلها "[2].

نعم هذا موقف أهل الكلام من المعتزلة ، فتوجيه الآيات يكون دائماً موافقاً لما يخدم مذهبهم ويناصر آراءهم .

وهذه بعض مواضع من كتابه ، يقر فيها مذهبه الاعتزالي : يقول : عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾[3] .فإن قلت : ما الإيمان الصحيح ؟.

قلت : أن يعتقد الحقّ ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله ، فمن أخلّ بالاعتقاد وإن شهد وعمل فهو منافق ، ومن أخلّ بالشهادة فهو كافر ومن أخلّ العمل فهو فاسق .

فأنت تراه فسّر الإيمان بما يثبت به المعتزلة المنـــزلة بين المنـــزلتين ، وهي منـــزلة الفاسق بين منـــزلة المؤمن ومنـــزلة الكافر ، فينبغي الإيمان عن سليم العقيدة ما دام أنّه أخلّ بواجب العمل ، وهو محجوب من أهل السنّة بأنّ هذا التّفسير لا يوافق اللغة ولا الشرع ،

1- سورة القيامة: 20-23.

2- محمد لطفي الصباغ ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير ،مرجع سابق ، ص:247.

3- سورة البقرة: 3.

أمّا اللغة فلأن معنى الإيمان التصديق لا غير ، وكذا الشرع بدليل عطف العمل عليه ، والعطف يقتضي المغايرة بين المتعاطفين "[1] .

تفسير هذه الآية الكريمة كما هو مبيّن يرتكز على مبدإٍ من مبادئ هذه الفرقة الكلامية وهو المنـــزلة بين المنـــزلتين وغيرها كثير في تفسيره .

وهناك طوائف اتبعت هذ المنهج الكلامي منهم الأشاعرة والماتوريدية والجهمية وغيرهم من الطوائف المنحرفة .

4- منهج التحليل الإشاري :

إنّ منهج التحليل الإشاري من المناهج التي انتشرت في التفسير بيد أنّه لم يكن له أثر في تفسير القرآن،لأنّه كان مخالفاً لظاهر القرآن في توضيح المعاني وفهم المقاصد،كما أنّ أصحاب هذا المنهج انحرفوا كثيراً عن الطريق الصحيح الذي فسر به السلف القرآن الكريم .

4-1 تعريف المنهج الإشاري :

كان للعلماء عدة تعريفات لهذا المنهج الرمزي يقول ابن عجيبة :" هو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأهل السلوك ، ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة "[2].

ويعرفه الزرقاني بأنّه :" تأويل القرآن بغير ظاهر الإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف ، ويمكن الجمع بينهما وبين الظاهر والمراد أيضاً "[3] .

1- محمد عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، تح: فواز أحمد زمرلي ، دار الكتاب العربي ، ط1، بيروت ، 1995، ج2، ص:60.

2- أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الصوفي،البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تح:أحمد عبد الله قرشي رسلان ، مكتبة حسن عباس زكي ، دط، القاهرة ، 1419، ج1/ ص:17.

3- محمد عبد العظيم الزرقاني، ج2،مرجع سابق ، ص:56.

فالمنهج الإشاري يقوم على تأويل القرآن بخلاف ظاهره معتمداً إشارات غامضة لا يعلمها إلاّ المتصوفة .

وقد ألفت عدةُ تفاسير تعتمد المنهج الإشاري في بيان معاني القرآن الكريم ، ومقاصده منها :

1- حقائق التفسير لأبي عبد الرحمان السلمي .

2- تفسير القرآن العظيم لسهل التستيري.

3- غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري .

4-2- نماذج من التّفسير الإشاري :

يعتمد أصحاب هذا المنهج الإشارات والرموز لتفسير آيات القرآن الكريم ولهم في ذلك أسرار.

ومن أمثلة التفسير الإشاري ما جاء في تفسير الآلوسي الصوفي، في بداية تفسير سورة آل عمران ،قال:"هذا من باب الإشارة في الآية :﴿ الٓمٓ﴾[1] وذكر بعض سادتنا فيه أنّه أشير به إلى كل الوجود من حيث هو كل لأنّ (أ) إشارة إلى الذات الذي هو أوّل الوجود وهو مرتبة الإطلاق ! و(ل) إلى العقل المسمى بجبريل الذي هو وسط الوجود الذي يستفيض من المبدأ أو يفيض إلى المنتهى !!و(م) إلى محمد – صلى الله عليه وسلم – الذي هو آخر الوجود وبه تتم دائرته ! ولهذا كان الختم ، وقال بعضهم : إنّ(ل) ركبت من ألفين ، أي وضعت بإزاء الذات مع صفة العلم الذين هما عالمان من العوالم الثلاثة الإلهية ! التي أشرنا إليها فهو اسم من أسمائه تعالى الأعظم بحيث لا يعرفها إلاّ من يعرفها"[2].

1- سورة آل عمران: 1.

2- أبو عبد الله محمد المحمود النجدي ،القول المختصر المبين في مناهج المفسرين ،دار الإمام الذهبي ، ط1، 1412هـ،ص:54.

وقوله في التفسير الإشاري تفسير الآية : ﴿ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾[1] يقول : "جماعة الملائكة التالية آيات الله تعالى وجلايا قدسه على أنبيائه وأوليائه !!"[2] .

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ۝ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴾[3] يقول : " وقيل إنّ إشارة إلى طائفة من المؤمنين كان الغالب عليهم في الدنيا طلب الجنة !!ولذا أضفوا إليها وهم دون أهل الله تعالى وخاصته الذين لم يلتفتوا إلى شيء سواه – عزّ وجل- فأولئك مشغولون بلذائذ ما طلبوه وهؤلاء جلساء الحضرة المشتغلون بمولاهم جلّ شأنه المتنعمون بوصاله ومشاهدة جماله وفرق بين الحالين وشتان ما بين الفريقين ! ولذلك قيل : أكثر أهل الجنّة البله فافهم الإشارة "[4].

هذا جانب من مظاهر التفسير الإشاري الذي يظهر بطريق مغاير لما عليه المفسّرون من السّلف ، فأصحاب الإشارة لهم ألغاز لا يعرفها إلاّ هم ومن والاهم .

4-3 موقف العلماء من التّفسير الإشاري :

يختلف العلماء في قبول التفسير الإشاري ، فمنهم من قبله ووضع لذلك شروطا ومنهم من ردّ هذا التفسير وحذّر منه لعدم ثبوته عن السلف ، وما يؤدي إليه من انحراف وزيغ.

أ- الاتجاه الأوّل:

يرى أصحاب هذا الاتجاه قبول التفسير الإشاري والأخذ به ، دون إلزامية الأخذ به ، إذ هو ليس واجب الاتباع ، فوضعوا لقبوله شروطا هي كالتالي : "

1- سورة الصافات: 3.

2- أبو عبد الله محمد المحمود النّجدي ، مرجع سابق ، ص:55.

3- سورة يس: 55- 56.

4- أبو عبد الله محمد المحمود النّجدي ، مرجع سابق ، ص:53.

1-أن لا يتنافى وما يظهر من معاني النظم الكريم.

2-أن لا يدّعى أنّه المراد وحده دون الظاهر.

3-أن لا يكون تأويلاً بعيداً سخيفاً، كتفسير بعضهم قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1] .يجعل كلمة "لمع" فعلاً ماضياً وكلمة "المحسنين " مفعوله .

4-أن لا يكون له معارض شرعي أو عقلي .

5-أن يكون له شاهد شرعي يؤيده "[2] .

فهذا الفريق يرى الأخذ بالتفسير الإشاري دون إلزام أو وجوب ، لكن بشروط تقيد هذا التّفسير .

ب- الاتجاه الثاني :

أمّا أصحاب هذا الاتجاه فيرون أنّ الابتعاد عن هذا التفسير أسلم وأحوط لما فيه من الدسائس ، وأنّها كلها أذواق ومواجيد مختلطة بالحقيقة والخيال .

يقول محمد عبد العظيم الزرقاني :" فواجب النصح لإخواننا المسلمين يقتضينا أن نحذرهم الوقوع في هذا الشباك ، نشير عليهم أن ينفضوا أيديهم من أمثال تلك التفاسير الإشارية الملتوية ، ولا يعول على أشباهها ممّا ورد في كلام القوم بالكتب الصوفية ، لأنّها كلها أذواق ومواجيد ، خارجة عن حدود الضبط والقيد ، وكثيراً ما يخلط فيها الخيال بالحقيقة والحق بالباطل ، وإذا تجردت من ذلك فقلما يظهر منها مراد القائل "[3].

1- سورة العنكبوت: 69.

2- محمد عبد العظيم الزرقاني ، المصدر السابق ، ص:68.

3- المصدر نفسه ، ص:75/74.

ويتجه الزركشي في برهانه نفس الاتجاه حيث يقول : "كلام الصوفية في تفسير القرآن قيل إنّه ليس تفسيراً وإنّما هو معانٍ ومواجيد يجيدونها عند التلاوة " [1].

ويقول محمد حمدي زقزوق مبيّنا موقفه من الاتجاه الإشاري : " لا يمكننا أن نعتبر ذلك تفسيراً للقرآن وإنّما هو فكر شاذّ أريد به الذيوع عن طريق التستر بزي تفسير الكلام الإلهي " [2].

فأصحاب هذا الفريق يتعدون كل البعد عن هذا النوع من التفسير ، ويرون أنّه خطر على المسلم في دينه ، ولا يمكن الأخذ به ، بل يحذرون منه ممّا فيه من غموض واختلاط للحقيقة بالخيال ، والحقّ بالباطل .

1- فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، اتّجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ، مؤسسة الرسالة ، ط3، الرياض ، 1997، ج1/ ص: 370.

2- محمد حمدى زقزوق ، مصدر سابق ، ص:284.

الفصل الثاني:منهج التّحليل عند الحافظ ابن كثير

-ترجمة ابن كثير

-التعريف بتفسير ابن كثير

-منهج التّحليل النظري عند ابن كثير

-المنهج التطبيقي عند ابن كثير

الفصل الثاني: منهج التحليل عند الحافظ ابن كثير.

1- منهج التحليل عند الحافظ ابن كثير – رحمه الله.

قبل الشروع في سرد منهج ابن كثير في تفسير القرآن العظيم نتطرق إلى الحديث عن مشواره العلمي من خلال ما قدمه من جهود لخدمة الدّين الإسلامي.

1-1 ترجمة الحافظ ابن كثير – رحمه الله-.

الإمام ابن كثير عالم من العلماء التّفسير المعروفين الذين شهد لهم بالعلم الغزير في مختلف الفنون الإسلامية إلاّ أنّه اشتهر بالتّفسير.

- **مولده :**

هو:" عماد الدين ، أبو الفداء ، إسماعيل بن عمر بن كثير ، بن ضوء بن كثير بن ضوء بن درع : البصري الدّمشقي القرشي الشّافعي ، ولد في إحدى قرى منطقة "بصرى" في الشّام واختلف العلماء في تحديد سنة مولده ، والراجح أنّ ميلاده كان سنة (700هـ) ، توفي في دمشق في شعبان سنة (774هـ)"[1] .

- **عقيدته :**

كان الحافظ ابن كثير " صحيح الدّين سلفي العقيدة ، ولعل ذلك من أثار صحبته المتقدمة لشيخه أبي العباس أحمد بن تيمية وملازمته لشيخه وصهره أبي الحجاج المزّي...أمّا مذهبه في الفروع فكان شافعي المذهب "[2] .

1- صلاح عبد الفتاح الخالدي ، مصدر سابق ، ص:381.

2- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، دار ابن حزم ، ط1، بيروت ، 2000، ص:5.

وتجدر الإشارة هنا أنّ ابن كثير ذكر عن نفسه أنّه :" ختم القرآن سنة(711هـ) أي وهو في العاشرة من عمره ، وقد تفقه على المذهب الشافعي ، فحفظ "التنبيه" وهو من أشهر المتون الفقهية على المذهب الشافعي كما حفظ "مختصر ابن حاجب " في أصول الفقه " [1].

- **شيوخه :**

لم يكن ابن كثير عالم في التفسير فحسب بل كان يجيد علوماً أخرى كعلم الحديث والفقه وعدّة فنون مختلفة تظهر من خلال مؤلفاته وخاصة الحديث الذي لقي شيوخه فتعلمه منهم حتى أجاده ، ومن بين الشيوخ الذين درّسوه نذكر منهم: "

1- أبو يحي زكريا بن يوسف بن سليمان بن حماد البجليّ الشافعي نائب الخطابة ومدرس الطيبة والأسدية ، قال ابن كثير : " بقية السلف ، وله حلقة للأشغال بالجامع الأمويّ يحضر بها عنده الطلبة ، وكان يشتغل بالفرائض وغيرها " توفي 23 جمادى الأولى سنة 722هـ .

2- أبو نصر بن محمد بن مميل (629هـ -723هـ) قال ابن كثير: سمع الكثير وأسمع وأفاد " .

3- أبو محمد القاسم بن عساكر (629هـ 723هـ) قال ابن كثير: " شيخنا الجليل المعمر الرّحلة " .

4- أبو زكريا يحي بن الفاضل (645هـ- 724هـ) قال ابن كثير : " سمع كثيراً وخرج له الذهبي شيئاً، وسمعنا عليه الدار قطني وغيره " .

5- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي الهيجاء ، المعروف بابن الزراد سمع منه بدمشق .

1- محمد بن راشد بن محمد البركة، التفاسير المختصرة اتجاهاتها ومناهجها، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، الرياض، 1436هـ ،ص:248.

6- شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، ابن تيمية (661- 628هـ) صرح ابن كثير بأخذه عنه في البداية 114/14، 127 ، وقال ابن قاضي شهبة في طبقاته : " كانت له خصوصية بابن تيمية ومناضلة عنه ، واتباع له في آرائه " [1]. وشيوخه كثير لا يمكن ذكرهم كلهم في مثل هذا الموضع.

- **تلاميذه :**

ليس من السهل أن نحصر تلامذة الشيخ الحافظ وذلك لتعدد المناصب التي تولاها فمن أشهر تلامذة العلامة ابن كثير الذين تعلموا عليه سنذكر بعضهم:"

1- أبو المحاسن الدمشقي الشريف محمد بن علي بن الحسن بن حمزة بن أبي المحاسن الدمشقي، وهو المشهور بالحسيني، ولد سنة 715هـ وتوفي سنة 765هـ.

2- الإمام بدر الدين بن محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ، وقد تتلمذ للحافظ ابن كثير وتلقى عنه الحديث بدمشق ، وهو صاحب كتاب " البرهان في علوم القرآن " ولد سنة 745هـ وتوفي سنة 794هـ.

3- أبو جعفر بن عنقة اليشكري ، حمل عن ابن كثير وعن غيره توفي سنة 804هـ.

4- سعد الدين سعد بن يوسف بن إسماعيل النووي الشافعي، أخذ عنه وقرأ عليه في علم الحديث وأذن له توفي سنة 805هـ".

1- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، تفسير القرآن العظيم،مصدر سابق ،ص: 6.

– آثار ابن كثير :

تظهر شخصية ابن كثير العلمية من خلال مؤلفاته وتراثه العلمي الذي أتحف به المكتبة الإسلامية ، قال ابن حجر :" ولقد سارت تصانيفه في البلاد في حياته وانتفع النّاس بها بعد وفاته" [1].

أشهر مؤلفات الحافظ ابن كثير نذكر بعضها وهي:

1- تفسير القرآن الكريم.

2- فضائل القرآن .

3- اختصار علوم الحديث.

4- البداية والنّهاية.

5- السيرة النبوية (مطولة).

6- السيرة (مختصرة) .

7- جامع المسانيد والسّنن .

8- طبقات الشافعية .[2]

كانت هذه بعض مؤلفات ابن كثير– رحمه الله– وقد لاقت قبولاً واسعاً بين العلماء وطلاب العلم، حيث كانت لهم زاداً وموردا ينهلون منه العلم.

– ثناء العلماء على الحافظ ابن كثير:

أثنى جمعٌ من العلماء على ابن كثير – رحمه الله– وعدّوه من العلماء الحفاظ المتميزين في تحصيل العلم واستحضاره وعُدّ كذلك من الفقهاء.

1- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ص:30.

2- مطر أحمد مسفر الزهراني ، الإمام ابن كثير المفسر ، إشراف أحمد صقر عليه الشريعة والدراسات الإسلامية ، مكة ، ص:58.

يقول ابن حجر في الدرر الكامنة " كان كثير الاستحضار ،حسن المفاكهة ، سارت تصانيفه في البلاد في حياته وانتفع بها الناس بعد وفاته ، ولم يكن على طريقة المحدثين في تحصيل العوالي ، وتمييز العالي من النازل ونحو ذلك من فنونهم، وإنّما هو من محدّثي الفقهاء " [1] .

ويقول العيني مشيداً بحفظه وتصانيفه وكثرة اطلاعه وتأليفه " كان قدوة العلماء والحفاظ ، وعمدة أهل المعاني والحفاظ ، وسمع وجمع، وصنف ودرس ، وحدّث وألّف، وكان له اطلاع عظيم في الحديث والتفسير والتاريخ ، واشتهر بالضبط والتحرير ، وانتهى إليه علم التاريخ والحديث والتفسير ، وله مصنفات عديدة مفيدة " [2] .

ووصفه الحافظ شمس الدّين بن ناصر بأنّه: " الشيخ الإمام العلامة الحافظ، عماد الدين ، ثقة المحدثين ، عمدّة المؤرخين ، علمُ المفسرين " [3] .

هذا ثناء بعض العلماء على الحافظ ابن كثير على ما قدّمه للأمّة الإسلامية من علم وافر وما امتاز هو به نفسه من حفظ وتأليف وتصنيف ، فكان حقاّ على هؤلاء العلماء أن يبينوا مرتبة هذا العالم وأن يثنوا عليه بما هو أهله .

1-2 التعريف بتفسير الحافظ ابن كثير:

يعدّ كتاب تفسير القرآن الكريم للحافظ ابن كثير من الكتب التفسيرية التي لقيت رواجا واسعاً وقبولا بين أهل العلم ، فعد هذا التفسير من أفضل الكتب وأهمها في فهم معاني القرآن الكريم ، قال الإمام السيوطي :" لم يؤلف على نمطه مثله "[4] .

1- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، فضائل القرآن ، تح: أبو إسحاق الحويني ، مكتبة ابن تيمية ، ط1، القاهرة ، 1416هـ ، ص:10.

2- المصدر نفسه، ص:10،11.

3- المصدر نفسه، ص: 11.

4- سليمان بن ابراهيم اللاحم ، منهج ابن كثير في التفسير ، دار المسلم ، ط1، الرياض ، 1999، ص: 64.

ويقول الشيخ أحمد شاكر ذاكراً حسنه وجوده : " وبعد: فإنّ تفسير الحافظ ابن كثير أحسن التفاسير التي رأينا أجودها وأدقها بعد تفسير إمام المفسرين أبي جعفر الطبري ، ولسنا نوازن بينهما وبين أي تفسير آخر ممّا بأيدنا ، فما رأينا مثلهما ، ولا ما يقاربهما"[1] .

وقد عدّ تفسير ابن كثير من التفاسير التي اتبعت منهج التفسير بالمأثور الصحيح الذي يعتني بالرواية يقول أبو عبد الله محمد المحمود النجدي : " تفسير ابن كثير من أشهر ما دوّن في التفسير بالمأثور ، ويأتي في المرتبة الثانية بعد تفسير ابن جرير و يعتني أيضاً بالرواية ، ففسر كتاب الله بالأحاديث والأثار المسندة إلى أصحابها ، شديد العناية بذكر الآيات المتشابهة للآية التي يريد تفسيرها وهو ما يسمى بتفسير القرآن بالقرآن " [2] .

– طريقة ابن كثير في التّفسير:

اتبع ابن كثير طريقة واضحة سهلة في كتابه تفسير القرآن يستطيع القارئ من خلالها فهم آيات القرآن الكريم دون عناء ، فهو : " يذكر الآية ثم يفسرها بعبارة سهلة موجزة ، ويجمع الآيات المناسبة لها ، ويقارن بينها وتفسيره أكثر كتب التفسير المعروفة سرداً للآيات المناسبة في المعنى الواحد ، يورد الأحاديث المرفوعة التي لها صلة بالآية ويبيّن أحياناً ما يحتجّ به منها ومالا يحتجّ به ، ثمّ يردف هذا بأقوال الصحابة والتابعين وعلماء السّلف ، ويرجح بين الأقوال ويضعف بعض الروايات ، ويصحح آخر ويعدل بعض الرواة ، ويجرح آخرين إذ إنّه من أهل العلم بالحديث والجرح والتعديل ، وينبه وبالتفصيل حينا آخر " [3] .

1- أحمد شاكر، مرجع سابق، .ص: 9

2- أبو عبد الله محمد محمود النّجدي، مصدر سابق، ص: 39.

3- فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، بحوث في أصول التفسير ومناهجه، مرجع سابق ،ص: 150، 151.

هذه الطريقة السلسة والأسلوب الرائع مكن الحافظ ابن كثير من إجادة علم التفسير تطبيقاً، فهو ملمّ بكل ما يسهّل للقارئ طريق طلب العلم بأسلوبه الذكي ، وقد كان تفسيرهُ مرجعاً في التّفسير للمفسرين وغيرهم من الفقهاء والأصوليين .

- **المصادر التي اعتمدها ابن كثير في تفسيره :**

إنّ التفاسير التي سبقت ابن كثير كانت له ساعداً في إعداد كتابه تفسير القرآن، وطريقاً مسهلاً لاقتناء الآثار ،ممّا ساعده في الاستفادة والإفادة ، من أهمّها :

1- تفسير الإمام أبي جعفر بن محمد الطبري.

استفاد الإمام ابن كثير من كتاب التفسير للإمام ابن جرير الطبري "فنقل عنه الشيء الكثير في جميع الجوانب التفسيرية التي خاضها كل منهما في تفسيره ، بين مكثر ومقل في ذلك ، وأهمّ الجوانب التي استفاد منها ابن كثير من هذا التفسير نقل الحديث فتراه يفحصها وينبه على الضعيف منها، والأخبار الإسرائيلية ، تفسير القرآن بالقرآن ..."[1] .

2- تفسير ابن أبي حاتم :

هذا التّفسير كذلك من التفاسير التي اعتمد عليها ابن كثير في تفسيره ،" يأتي تفسير ابن أبي حاتم في المرتبة الثانية بعد تفسير الطبري ،وهو من التفاسير التي اعتمدها ابن كثير ، وغالباً ما يقرن بينهما في نقله للأحاديث والآثار وبعض الأخبار الإسرائيلية "[2].

3- تفسير الحافظ أبي بكر أحمد بن موسى بن مردويه :[3]

هذا مصدر ثالث نهل منه الحافظ ابن كثير فكان مرجعه في أخذ الحديث منه حتى أكثر النقل من هذا المصدر .

1- سليمان بن ابراهيم اللاحم ، مرجع سابق ،ص: 75-87.

2- المصدر نفسه ،ص: 102.

3- المصدر نفسه ، ص: 107.

كما أنّه أخذ من تفسير البغوي "معالم التنـــزيل" ، وتفسير الزمخشري " الكشاف" وتفسير ابن عطية ، وتفسير الرازي ، كما أنّه أخذ عن تفسير القرطبي ، ومصادر أخرى غير كتب التفسير ، كصحيح البخاري ، والصحاح للجوهري ، وأخذ كذلك من كتب الفقه والأصول والسير والمغازي .

3- منهج التّحليل النّظري عند ابن كثير :

تميّز ابن كثير – رحمه الله- عن بقية المفسرين بطريقته في تفسير وشرح آي القرآن الكريم ، فوضع لنفسه منهجاً سار عليه ، وكان هذا المنهج من أحسن المناهج في التفسير حتى لقب بالمنهج " الأثري النظري " .

يقول صلاح عبدالفتاح الخالدي :"تفسير ابن كثير يصنّف ضمن مدرسة التفسير الأثري النظري لأنّ الإمام ابن كثير صاغ تفسيره وفق قواعد منهج التفسير الأثري النظري " [1].

بنى الحافظ ابن كثير منهجه الأثري على قواعد أساسية مبتدئاً بتفسير القرآن بالقرآن حيث يقول: " فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير ؟ فالجواب : إنّ أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن ، فما أجمل في مكان فإنّه قد بسط في موضع آخر "[2].

ثمّ يضع الحافظ ابن كثير السنّة في المرتبة الثانية بعد القرآن باعتبارها موضحة ومفسرة للقرآن فيقول : " فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنّها شارحة للقرآن وموضحة له " [3].

ثمّ يذكر بعد السنّة أقوال الصحابة إن لم يكن فيها ما يوضح القرآن ويفسره فيقول : " إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنّة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنّهم أدرى بذلك

1- صلاح عبد الفتاح الخالدي ، مصدر سابق ، ص:394.

2- محمد محمود التّحدي ، حسن التّحرير في تهذيب تفسير ابن كثير ، دار الإمام أحمد بن حنبل ، ط1، الكويت ، 1999، ج1/ ص:10.

3- المصدر نفسه ، ص: 10.

لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها ولما لهم من الفهم التام ، والعلم الصحيح والعمل الصالح لاسيما علماؤهم وكبراؤهم ،كالأئمة الأربعة والخلفاء الراشدين والأئمة المهتدين وعبد الله بن مسعود – رضي الله عنه-"[1].

يبيّن ابن كثير أنّ التفسير إذا لم يكن موجوداً في القرآن الكريم ولا في السنة فعلينا أن نرجع إلى أقوال الصحابة – رضي الله عنهم- فإنّهم أعلم وأدرى النّاس كونهم تلقوا العلم والقرآن عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فهم أولى أن يرجع إليهم .

وكذلك يعدّ ابن كثير –رحمه الله- أقوال التابعين مرجعاً في تفسير وشرح آي القرآن الكريم موضحاً ذلك بقوله : " إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ، ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين ، كمجاهد بن جبر ، فإنّه كان آية في التّفسير " [2] .

ثمّ يحذّر ابن كثير من أن يفسر القرآن بمجرد الرأي ، ويقف عند تحريمه حيث يقول :" أمّا تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام ،لأنّه قد تكلف ما لا علم له به وسلك غير ما أمر به، فلو أنّه أصاب المعنى في نفس الأمر لكان قد أخطأ لأنّه لم يأت الأمر من بابه كمن حكم بين النّاس على جهل فهو في النّار وإن وافق حكمه الصواب في نفس الأمر ،لكن يكون أخف جرما ممّن أخطأ والله أعلم " [3].

يظهر من قول ابن كثير هذا أن تفسير القرآن بالرأي محرم حتى ولو كان المفسر قد أصاب في تفسيره، ويعد هذا التفسير من التكلف الذي ليس للمفسر به علم.

1- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسر القرآن العظيم، مصدر سابق، ص: 10.

2- المصدر نفسه، ص: 11.

3- محمد المحمود النجدي ، حسن التحرير في تهذيب تفسير ابن كثير، مرجع سابق ، ص: 12.

يميز ابن كثير بين الأحاديث ، فيذكر الصحيح منها ، ويبين الضعيف ويذكر علله ، قال الشيخ أحمد شاكر في مقدمة كتابه عمدة التفسير : "وإنّه ليذكر الأحاديث – في أكثر المواضع-بأسانيدها من دواوين السنة،ومصادرها وكثيراً ما يذكر تعليل الضعيف منها ولكنّه يحرص أشدّ الحرص على أن يذكر الأحاديث الصحيحة،وإن ذكر معها الضعاف "[1].

كما تطرق ابن كثير – رحمه الله- إلى موضوع الإسرائيليات حيث قسمها إلى ثلاثة أقسام وبين موقفه منها وقد ذكر الحديث : " بلّغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النّار" وقال رواه البخاري عن عبد الله بن عمر "[2].

وبعد ذكره لهذا الحديث الذي يحمل وعيداً شديداً للمحدثين بالكذب والافتراء وإمكانية التحدّث عن بني إسرائيل ولا حرج في ذلك يذكر أقسام هذه الروايات الإسرائيلية فيقول: "ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا لاعتضاد ، فإنّها على ثلاثة أقسام:

أحدها :ما علمنا صحته ممّا بأيدينا ممّا يشهد له بالصدق ، فذاك صحيح .

والثاني : ما علمنا كذبه بما عندنا ممّا يخالفه .

والثالث : ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل ، فلا نؤمن به ولا نكذبه ، وتجوز حكايته لما تقدم ، وغالب ذلك ممّا لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني "[3].

1- صلاح عبد الفتاح الخالدي، مصدر سابق، ص: 398.

2- محمد بن لطفي الصباغ، بحوث في أصول التفسير، المكتب الإسلامي، ط1، بيروت، 1988، ص: 71.

3- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، مصدر سابق ، ص : 11،10.

يناقش ابن كثير المسائل الفقهية ويتوسّع فيها يقول محمد بن لطفي الصباغ " ويتعرض إلى الموضوعات الفقهية وقد يدخل في بحوث فقهية موسعة، وهو متأثر إلى حد كبير بتفسير ابن جرير "[1].

ويذكر ابن كثير أقوال العلماء واختلاف الفقهاء ويعرض أدلتهم، يقول محمّد الزحيلي : "يتعرض ابن كثير عند تفسيره آيات الأحكام إلى بيان الأحكام الشرعية ، ويستطرد في ذكر أقوال العلماء وأدلتهم ، ويدخل في المناقشات الفقهية ، واختلاف الفقهاء ، ويخوض في المذاهب ويعرض أدلتهم ، لكنه لا يتوسع كثيراً مثل تفاسير أحكام القرآن ، وإسراف الفقهاء المفسرين كابن العربي والجصاص والقرطبي "[2].

وكذلك اعتمد ابن كثير في منهجه التفسيري الشواهد اللغوية والشعرية لفهم القرآن الكريم ، يقول محمد الزحيلي: " اعتمد ابن كثير – رحمه الله– على اللغة العربية في فهم كلام الله تعالى الذي نزل بالغة العربية ، ويجب ان يفسر حسب مقتضى الألفاظ العربية وأساليب اللغة ، ودلالات الألفاظ ، وشواهد الشعر التي تدل على المعنى ، وتوضح المراد وتؤيد التفسير "[3].

ويذكر ابن كثير منهج تفسير الأعلام والرجال الذين نقل عنهم يقول محمد الزحيلي : " حافظ ابن كثير في معظم الأحيان على ذكر الأسانيد ونسبة الأقوال إلى أصحابها وإيراد أسماء العلماء الأعلام الذين نقلت عنهم الآراء ، ليكون دقيقاً في نقله ، مع المحافظة على الأمانة العلمية ، فجاء تفسيره زاخراً بأسماء العلماء وأعلام الرجال "[4].

1- محمد بن لطفي الصباغ ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير ، مرجع سابق ، ص: 278.

2- محمد الزحيلي ، ابن كثير الدمشقي ، دار القلم ، ط1، بيروت ، 1995، ص:121.

3- المصدر نفسه، ص: 121.

4-المصدر نفسه، ص: 121.

يحرص ابن كثير على ذكر أسباب النـــزول فيذكر "الروايات المختلفة ويعتمد منها الرأي الراجح: إذا كان سبب النـــزول صريحاً فإنّه يكتفي بذكره ولا يحاول الإكثار من الروايات "[1].

والمراد بالسبب " ما نزلت الآية أو الآيات مبينة لحكمة أيام وقوعه ، كأن تقع حادثة أو يوجه سؤال إلى النّبي – صلى الله عليه وسلم – سؤال فتنـــزل الآيات فيما يتصل بتلك الحادثة أو بجواب ذلك السؤال ، فيقال بعد ذلك هذه الآيات : سبب نزولها كذا"[2] .

واهتم ابن كثير في منهج تفسيره بذكر المكي والمدني من السور، " والمكي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعدها، سواء بمكة أو بالمدينة، أو عام الفتح أو عام حجة الوداع أم بسفر من الأسفار " [3] .

ويبيّن ابن كثير في تفسيره النّاسخ والمنسوخ من الآيات بما يناسب المقام.

والناسخ والمنسوخ هو: " رفع أي معنى في النّص بنص آخر ، كرفع العموم بالتخصيص ، ورفع الإطلاق بالتقييد ، ورفع الإجمال بالبيان والرفع بالاستثناء" [4] .

أمّا عند المتأخرين فهو:" رفع حكم شرعي بحكم آخر متراخ عنه" [5] .

ويتطرق ابن كثير في تفسير القرآن العظيم إلى ذكر وجوه القراءات، فالناظر في تفسيره يبصر ذلك إلاّ أنّه لم يكثر منها .

1- مطر أحمد مسفر الزهراني : مرجع سابق ، ص: 218.

2- عدنان محمد زرزور ، علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه ، المكتب الإسلامي ط1، دمشق ، 1981 ،ص: 127، 128.

3- المصدر نفسه، ص: 138، 139.

4- مساعد بن سليمان بن ناصر لطيار، التحرير في أصول التفسير، مراجعة مجموعة من الأساتذة، معهد الإمام الشاطبي، ط1، جدّة، 2014، ص: 218.

5- المصدر نفسه ، ص: 218.

4-المنهج التطبيقي عند ابن كثير – رحمه الله –.

4-1- تفسير القرآن بالقرآن:

يقول ابن كثير –رحمه الله: فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟فالجواب: إن أصحّ الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن،فما أجمل في مكان فإنّه فسّر في موضع آخر " [1] .

- **أمثلة عن تفسير القرآن بالقرآن :**

من ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [2] . حيث قال: " هذه القصة مبسوطة في سورة الأعراف : يقول تعالى : ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[3]. القصة بكاملها "[4] .

وعندما جاء في تفسير سورة الأعراف أشار ونبه فقال: "هذا السّياق هو بسط لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ ﴾[5] .

وعند كلامه عن آيات قصة إبراهيم في سورة الصافات قال : " وهذه القصة هاهنا مختصرة وفي سورة الأنبياء مبسوطة ، فإنّهم لمّا رجعوا ، ما عرفوا من أوّل وهلة من فعل

1- أحمد شاكر، مصدر سابق، ص: 40.

2- سورة البقرة: 65-66.

3- سورة الأعراف: 163.

4- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم ، مصدر سابق ، ص: 142.

5- سورة البقرة: 65.

ذلك : فلمّا جاؤوا ليعاتبوه ، أخذ في تأنيبهم وعيبهم فقال : ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾[1] ؛ أي تعبدون من دون الله من الأصنام ما أنتم تنحتونها وتجعلونها بأيديكم ؟ "[2].

وممّا جاء مجملاً من الآيات قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾[3].

يقول ابن كثير: " والظاهر – والله أعلم – أنّ المراد بذلك قوله: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ ﴾[4] .فإنّ هذه وإن كانت من الأنعام إلاّ أنّها تحرم بهذه العوارض، ولهذا قال: "﴿إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ ﴾[5] . يعني: منها فإنّه حرام لا يمكن استدراكه وتلاحقه ولهذا قال تعالى: ﴿ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾أي : إلاّ ما سيتلى عليكم من تحريم بعضها في بعض الأحوال "[6] .

وممّا فسّره ابن كثير من القرآن بالقرآن قول الله –عزّ وجل– : ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾[7] .

1- سورة الصافات: 95.

2- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق ، ص: 1589.

3- سورة المائدة: 1.

4- سورة المائدة: 3.

5- سورة المائدة: 3.

6- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق ، ص: 570.

7- سورة الأنعام: 162-165.

يقول ابن كثير –رحمه الله– : " إنّ جميع الأنبياء قبله كلهم كانت دعوتهم إلى الإسلام ، وأصله عبادة الله وحده لا شريك له ، كما قال :﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[1] ، وقد أخبر تعالى عن نوح أنّه قال لقومه : ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾[2] . وقال موسى:﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴾[3] .

﴾[3] .

وقال تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ﴾[4] .

يذكر ابن كثير هذه الآيات ليفسر بها السابقة ، موضحاً بها معنى الإسلام ثمّ يضيف شارحاً : " فأخبر الله – تعالى – أنّه بعث رسله بالإسلام ، ولكنهم متفاوتون فيه بحسب شرائعهم الخاصة التي ينسخ بعضها بعضاً إلى أن نسخت بشريعة محمد – صلى الله عليه وسلم – التي لا تنسخ أبد الآبدين " [5] .

4-2- تفسير القرآن بالسّنة :

يقول ابن كثير – رحمه الله–:"فإن أعياك ذلك فعليك بالسنّة فإنّها شارحة للقرآن وموضحة له "[6] .

1- سورة الأنبياء: 25.

2- سورة يونس: 72.

3- سورة يونس: 84.

4- سورة المائدة: 111.

5- ينظر: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ص: 742.

6- محمد المحمود النّجدي، حسن التّحرير في مذاهب تفسير ابن كثير، مرجع سابق، ص: 10.

ومن أمثلة ما جاء في تفسير القرآن بالسنّة قول الله – تعالى -: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1] .

يورد ابن كثير – رحمه الله- أحاديث لتفسير هذه الآية مستشهداً ومن ذلك ما رواه مسلم عن أبي هريرة – رضي الله هنه – قال:"لّما نزلت هذه الآية أشتد ذلك على أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ثمّ جثوا على الركب وقالوا : يا رسول الله ، كلفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والصيام والجهاد ،والصدقة وقـــد انزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم:سمعنا وعصينا ؟بل قالوا :سمعنا وأطعنا ،غفرانك ربنا وإليك المصـــير "[2] .

ثمّ يضيف حديثا آخر عن ابن عباس –رضي الله عنهما- قال: " لّما نزلت هذه الآية "﴿ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ ﴾ . قال: دخل في قلوبهم منها شيء قال: فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: "قولوا سمعنا وأطعنا"، فألقى الله الإيمان في قلوبهم فأنزل الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[3].إلى قوله: ﴿ فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[4] .

.

1- سورة البقرة: 284.

2- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق ، ص: 343.

3- سورة البقرة: 285.

4- سورة البقرة: 286.

وحديث آخر يورده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- :إنّ الله تجاوز لي عن أمتي ما حدثت به أنفسها ، ما لم تكلم أو تعمل "[1].

فهذه بعض الأحاديث أوردها الحافظ بن كثير لبيان الآية الكريم، وقد اقتصرنا على ذكر ثلاثة منها .

وفي موضع آخر ينقل حديثاً عن عائشة - رضي الله عنها- يرويه البخاري والترمذي يفسر به قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[2] .

عن عائشة – رضي الله عنها – قالت تلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾[3] . إلى قوله :﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[4] . قالت : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمّى الله فاحذرهم " وفي رواية أخرى يسوقها ابن كثير عن عائشة قالت: " نزع رسول الله - صلى الله عليه وسلم- بهذه

1- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق ، ص: 344.

2-سورة آل عمران: 7.

3-سورة آل عمران: 7.

4-سورة آل عمران: 7.

الآية :﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ ﴾[1].فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم- : قد حذركم الله فإذا رأيتموهم فاعرفوهم "[2]. رواه ابن مردويه .

نلاحظ أنّ ابن كثير ينقل من الأحاديث ما يعينه على تبيين المعنى وتوضيحه فتراه ينقل روايات متعددة الطرق ليستشهد بها على تفسيره ، كما أنّه يذكر أسانيدها وصحتها ورواتها.

4-3-تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتّابعين :

من المصادر التي اعتمدها ابن كثير في تفسير القرآن الكريم أقوال الصحابة والتّابعين ، وقد عرض في مواضع كثيرة أقوالهم لبيان معاني الآيات وتوضيحها ، ومن أمثلة ما تعرض إليه ما يلي :

- قال تعالى :﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[3] ، الإمام ابن كثير في تفسيره هذه الآية يورد أقوال الصحابة والتابعين للاستشهاد بها : قال السّدي ، عن أبي مالك وعن أصحاب النّبي – صلى الله عليه وسلم – في هذه الآية : ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾[4] . قال : شك ﴿ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾. قال : شكا ، وقال محمد بن اسحاق ، عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة ، أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : "﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ قال : شك ، وكذلك قال مجاهد وعكرمة والحسن البصري، وأبو

1-سورة آل عمران: 7.

2- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ص: 351

3-سورة البقرة: 10.

4-سورة البقرة: 10.

العالية والربيع بن أنس، وقتادة ، وعن عكرمة وطاوس ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ يعني :الرياء ، وقال الضحاك عن ابن عباس : ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ قال النفاق ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ قال: نفاقاً ، وهذا كالأوّل ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ قال: هذا مرض في الدين ، وليس مرضاً في الأجساد ، وهم المنافقون ، والمرض الشّك الذي دخلهم في الإسلام ، ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ قال زادهم رجساً ، وقرأ :﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾[1] . قال: شراً إلى شرّهم ، وضلالة إلى ضلالتهم وهذا الذي قاله عبد الرحمن – رحمه الله– حسن "[2] .

من خلال تفسير هذه الآية ، يظهر أنّ الحافظ ابن كثير أورد أقوال الصّحابة والتابعين في شرح وتفسير هذه الآية .

فمن الصّحابة الذي ذكرهم ابن كثير في تفسير هذه الآية : ابن عباس وابن مسعود – رضي الله عنهما– كما أنّه ذكر الصّحابة بصيغة الكثرة .

ومن التابعين نجد :سعيد بن جبير ، وعكرمة ،والضحاك ،والحسن البصري ومرّة الهمذاني ، والربيع ابن أنس ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

إنّ ابن كثير يحرص على ذكر أقوال الصحابة والتابعين عند تفسير كل آية حتى ولو كانت عباراتهم متقاربة أو بمعنى واحد .

1-سورة التوبة: 124-125.

2- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ص: 91.

4-4- ذكره لأسانيد الأحاديث ومتونها.

يتطرق ابن كثير في تفسيره كذلك إلى ذكر أسانيد الأحاديث ، فيذكر صحيحها من ضعفها ، وهو ما يدل على سعة علمه – رحمه الله- واطلاعه على أنواع الفنون العلمية الإسلامية والأمثلة التالية تظهر ذلك :

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ﴾[1]. أورد ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة وأنس بن مالك ، وأبي سعيد ، وسهل بن سعد بطرق متعددة مختلفة أنّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : " إنّ في الجنّة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها"،ثم قال :فهذا الحديث ثابت عن الرسول– صلى اله عليه وسلم– بل متواتر مقطوع بصحته عند أئمة الحديث النقاد لتعدد طرقه وقوة أسانيده ، وثقة رجاله "[2] .

إنّ ذكر ابن كثير لصحة الحديث ومتنه يجعله متميزاً كما أنّه يزيد في ثقة من يأخذ عنه التّفسير لأنّ التفسير كما قيل هو رواية عن الله .

وفي مثال آخر عن الحديث الضعيف نجد عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ١١٦ ﴾[3] . ذكر الحديث الذي رواه ابن أبي حاتم قال : أخبرنا يوسف بن عبد الأعلى ، حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث ، أنّ دراجاً أبي السمح حدثه ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : " كلّ حرف من القرآن يذكر في القنوت فهو طاعة " قال الحافظ ابن كثير : " وكذا رواه الإمام أحمد عن حسن بن موسى ، عن ابن

1- سورة الواقعة: 30.

2- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ص: 1811.

3-سورة البقرة: 116.

لهيعة ، عن دراج بإسناده مثله " ثمّ قال : "ولكن في هذا الإسناد ضعف لا يعتمد عليه ، ورفع هذا الحديث منكر ، وقد يكون من كلام الصحابي أو من دونه والله أعلم " [1] .

فهذا هو حال ابن كثير في الإشارة إلى صحيح الحديث من ضعيفه ، فهي مسؤولية عظيمة يقف عندها الإمام المفسر في نقل العلم بكل ثقة وأمانة .

4-5-الإسرائيليات:

يعالج الحافظ ابن كثير كذلك تفسير ببعض الأخبار الإسرائيلية وهي مرويات عن أهل الكتاب ، وقد أشار إليها في مقدمة كتابه " تفسير القرآن العظيم " وبيّن كيف يمكن الأخذ منها أو تركها ، وهي منتشرة بكثرة في التفاسير .

وما أشار إليه نجده عند تفسير قول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[2] . يقول الحافظ ابن كثير في تفسيره:" يخبر تعالى عن خليله إبراهيم – عليه السلام- أنّه أتاه رشده من قبل، أي: من صغره ألهمه الحقّ والحجّة على قومه " [3].ثمّ يقول :" وما يذكر من الأخبار عنه في إدخال أبيه له في السرب، وهو رضيع ، وأنّه خرج به بعد أيام ، فنظر إلى الكوكب والمخلوقات ، فتبصر فيها ، وما قصه كثير من المفسرين وغيرهم – فعامتها أحاديث بني إسرائيل – فما وافق منها الحق بما أيدينا من

1- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ص: 191.

2- سورة الأنبياء: 51-56.

3- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ص: 1239.

المعصوم قبلناه لموافقته الصحيح ، وما خالف شيئاً من ذلك رددناه ، وما ليس فيه موافقة ولا مخالفة لا نصدقه ولا نكذبه "[1] .

ونجده يشدد على الابتعاد عن هذه الإسرائيليات في بعض المواضع حيث قال في "أوّل سورة (ق)" : وقد روي عن بعض السّلف أنّهم قالوا : "ق" جبل محيط بجميع الأرض ، يقال له جبل "قاف" !!!وكأنّ هذا والله أعلم – من خرافات بني إسرائيل" ، التي أخذها عنهم بعض النّاس ، لما رأى من جواز الرواية عنهم ممّا لا يصدق ويكذب ، وعندي أنّ هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاف بعض زنادقتهم ، يلبسون على النّاس أمر دينهم كما افتري في هذه الأمة أحاديث عن النّبي – صلى الله عليه وسلم – وما بالعهد من قدم فكيف بأمّة بني إسرائيل "[2] .

ابن كثير يشير إلى أمر مهمٍ وهو الكذب الذي يعمد إليه هؤلاء وأنّه من صناديد أهل الكتاب يأتون به لإبعاد النّاس عن دينهم ، كما أنّهم مشهورون بالكذب ، فالحذر واجب من أن يأخذ الإنسان عنهم أمّر دينه .

4-6-مناقشة القضايا الفقهية :

يتطرق ابن كثير في تفسيره كذلك للقضايا الفقهية فيناقشها ويذكر أقوال العلماء فيها يقول هاني نور الهادي محمد عبد المعبود : " يدخل في المناقشات الفقهية ، ويذكر أقوال العلماء ، ويخوض في مذاهبهم وأدلتهم كلما تكلّم عن آية لها تعلّق بالأحكام "[3] .

1- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ص: 1240.

2- المصدر نفسه، ص: 1754.

3- هاني نور الهادي محمد عبد المعبود ، منهج ابن كثير في التّفسير وموقفه من الإسرائيليات في نسبة الشرك إلى آدم وحواء وموقفه من الحديث المرفوع والآثار الواردة فيه ، المجلة الإلكترونية الشاملة المتعددة التخصصات ، العدد 28 سبتمبر 2020 ، جامعة الملك خالد كلية العلوم والآداب محايل عسير ، ص: 16.

ومن أمثلة ذلك ما أورده عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ ﴾[1] . قال رحمه الله : "هذه الآية الكريمة فيها أحكام كثيرة منها : إطلاق النّكاح على العقد وحده ، وليس في القرآن آية أصرح في ذلك منها ، وقد اختلفوا في النكاح : هل هو حقيقة في العقد وحده أو في الوطئ أو فيهما ؟على ثلاثة أقوال ، واستعمال القرآن إنّما هو في العقد والوطئ بعده إلاّ في هذه الآية ، فإنّه استعمل في العقد وحده لقوله تبارك وتعالى : ﴿ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ ﴾ "[2].وفيها دلالة لإباحة طلاق المرأة قبل الدخول بها، وقوله تعالى : "المؤمنات" خرج مخرج الغالب إذا فرق في الحكم بين المؤمنة والكتابية في ذلك بالاتفاق ، ثمّ يعقب الحافظ ابن كثير بقوله: فعقب النّكاح بالطلاق فدل على أنّه لا يصح ولا يقع قبله ، ثمّ يذكر المذاهب فيقول: هذا مذهب الشافعي وأحمد بن حنبل وطائفة كثيرة من السلف والخلف رحمهم الله تعالى، وذهب مالك وأبو حنيفة رحمهما الله تعالى إلى صحة الطلاق قبل النّكاح فيما إذا قال: إن تزوجت فلانة فهي طالق ، فعندها متى تزوجها طلقت منه "[3] .

نلاحظ أنّ ابن كثير – رحمه الله- يناقش مسألة طلاق المرأة قبل الدخول ثمّ يورد موافق المذاهب من هذه المسألة ، وهذا دليل على أنّ الإمام ابن كثير له علم غزير وفقه بكل أمور الدّين .

1- سورة الأحزاب: 49.

2- سورة الأحزاب: 49.

3- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ص: 1508.

4-7- أسباب النـــزول :

يذكر الإمام ابن كثير في تفسيره أسباب النـــزول فيعرض أقوالاً مختلفة قد تدل على نفس المعنى وقد تختلف وممّا جاء ذكره في أسباب النّزول ما أورده في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۚ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾[1] .

يقول ابن كثير في سبب نزولها : " قال السّدي : نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي ، جاء إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأظهر الإسلام وفي باطنه خلاف ذلك ، وعن ابن عباس أنّها نزلت في نفر من المنافقين تكلموا في خبيب وأصحابه الذين قتلوا بالرجيع وعابوهم ، وقيل بل ذلك عام في المنافقين والمؤمنين كلهم وهذا قول قتادة ومجاهد والربيع بن أنس وغير واحد وهو الصحيح "[2].

ثمّ يضيف الحافظ ابن كثير فيقول: " لمّا أخبر الله عن صفاتهم الذميمة ذكر صفات المؤمنين الحميدة ، فقال :﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ ﴾[3] . قال ابن عباس وأنس وسعيد بن المسيب وجماعة نزلت في صهيب بن سنان الرومي وذلك أنّه لمّا أسلم بمكة وأراد الهجرة منعه النّاس أن يهاجر بماله ، وإن أحبّ أن يتجرد منه ويهاجر

1- سورة البقرة: 204-207.

2- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ص: 266.

3- سورة البقرة: 207.

فعل، فتخلص منهم وأعطاهم ماله، فأنزل الله فيه هذه الآية فتلقاه عمر بن الخطاب وجماعة إلى طرف الحرّة فقالوا له : ربح البيع ..."[1].

وكذلك في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾[2] .

يقول ابن كثير بعد أن بيّن براءة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من المنافقين، : " وإن كان سبب نزول الآية في عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين كما قال البخاري : حدثنا بن إسماعيل، عن أبي أسامة عن عبد الله عن نافع عن ابن عمر قال : لمّا توفي عبد الله – هو ابن أُبيّ – جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فسأله ان يعطيه قميصه يكفن في أباه فأعطاه، ثمّ سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ليصلي عليه، فقام عمر – رضي الله عنه– فأخذ بثوب رسول الله – صلى اله عليه وسلم – فقال : يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربّك أن تصلي عليه ؟ فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " إنّما خيرني الله فقال : ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾[3] .وسأزيد على السبعين " قال : إنّه منافق : قال : فصلى عليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأنزل الله عزّوجل، آية : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾[4] .

1- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ص: 265.

2-سورة التوبة: 84.

3-سورة التوبة: 80.

4-سورة التوبة: 84.

4-8-تفسير القرآن باللغة :

وممّا استعمله ابن كثير في تفسير القرآن باللغة، فنجده يشرح بعض الكلمات من القرآن لغة ويبيّن معناها حيث يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾[1] . فيقول – رحمه الله – " والويل" الهلاك والدمار وهي كلمة مشهورة في اللغة "[2] .

ونجد في موضع آخر يذكر الشّواهد الشعرية ويشرح الكلمات لغة ومثاله في تفسير قوله تعالى : ﴿وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾[3] .يقول ابن كثير :" أصل البلاء الاختبار وقد يكون بالخير والشرّ كما قال تعالى : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾[4] .وقال : ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾[5] .

قال ابن جرير : وأكثر ما يقال في الشّر : بلوته أبلوه بلاء وفي الخير : أبليته أبليه إبلاء وبلاء قال زهير بن أبي سلمى :

جزى الله بالإحسان ما فعل بكم ****وأبلاهما خير البلاء الذي يبلو.

قال فجمع بين اللغتين لأنّه أراد: فأنعم الله عليهما خير النعم التي يختبر بها العباد " [6] .

فالحافظ ابن كثير أورد المعاني اللغوية لكلمة " البلاء" حين يراد بها الخير وحين يراد بها الشرّ ثمّ استدلّ على ما فسر من شعر العرب ليثبت الدلالة الصحيحة .

1-سورة البقرة: 79.

2- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ص: 899.

3-سورة البقرة: 49.

4-سورة الأنبياء: 35.

5-سورة الأعراف: 168.

6- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ص: 129.

وفي مثال آخر يعمد ابن كثير إلى تبيين المعنى بالأدوات النّحوية وهو ما نجده في تفسير للآية : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ ﴾[1] يقول ابن كثير : " ومعنى الآية : إنّه تعالى أخبر أنّه لا "يستحي" أي: لا يستنكف ، وقيل : لا يخشى أن يضرب مثلاً ما ، أيّ مثل كان ، بأي شيء كان ، صغيراً كان أو كبيراً ، و "ما" هنا للتقليل، وتكون بعوضة منصوبة على البدل ، كما قال : لأضربنّ ضرباً ما ، فيصدق بأدنى شيء ، واختار ابن جرير أنّ "ما" موصولة و"بعوضة" معربة إعرابها ، قال :وذلك صائغ في كلام العرب ، أنّهما يعربون صلة "ما ومن" بإعرابهما لأنّهما يكونان معرفة تارة ونكرة أخرى ، كما قال حسان بن ثابت :

وَكَفَى بِنَا فَضْلاً عَلَى مَنْ غَيْرَنَا ***حُبّ النَّبِي مُحَمّدٍ إِيَّانَا.

قال : ويجوز أن تكون "بعوضة" منصوبة بحذف الجار ، وتقدير الكلام : إنّ الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بين بعوضة إلى ما فوقها " [2].

4-9 ذكره القراءات :

ومن الجوانب التي اهتم بها الحافظ ابن كثير في تفسيره وجوه القراءات ، فيذكر ما اختلف منها في المعنى أو توافق .

ومثال على ذكره وجوه القراءات ما جاء في بعض الآيات ومنها :

عند تفسيره لقول الله – عزّ وجلّ :﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴾[3] .

1- سورة البقرة: 26.

2- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ص: 105.

3- سورة البقرة: 10.

حيث يقول عند تفسير قوله تعالى: " بما كانوا يكذبون" : وقرئ "يُكذّبون" ، وكانوا متّصفين بهذا وهذا ، فإنّهم كانوا كذبةً يكذبون بالحقّ يجمعون بين هذا وهذا " [1] .

ابن كثير – رحمه الله- ذكر القراءتين ووفق بينهما في تفسير الآية فقد أبان من خلال وجوه القراءتين أنّ المنافقين متصفين بالصفتين، الكذب ، والتكذيب ،فهم يَكْذِبون ، ويُكَذِّبون وهذا من صفة المنافقين .

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[2].

يقول الحافظ ابن كثير –رحمه الله- في تفسيره لهذه الآية : " أي: واتقوا الله بطاعة إيّاه ، قال إبراهيم ومجاهد والحسن :" الذّي تسّاءلون به " أي كما قال أسألك بالله وبالرّحم" [3]. إلى أن قال ذاكراً وجوه القراءات :" وقرأ بعضهم" الأَرْحَامَ" بالخفض على العطف على الضمير في به ، أي: تساءلون بالله وبالأرحام ، كما قال مجاهد وغيره " [4].

وعند تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[5] .

يقول ابن كثير في تفسير "هَيْتَ لَكَ" ذاكراً وجوه قراءتها : " قال أبو القاسم بن سلام : وكان الكسائي يحكي هذه القراءة – يعني : " هَيْتَ لَكَ " ، هي لغة لأهل حَوْران ، وقعت إلى أهلّ الحجاز معناها : تعال...

1- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ص: 91.

2- سورة النساء: 1.

3- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ص: 339.

4- المرجع نفسه ،ص:339.

5- سورة يوسف: 23.

وقرأ ذلك آخرون : " هَيْتُ لَكَ" بكسر الهاء والهمزة ، وضمّ التّاء بمعنى : تهيأت لك ، من قول القائل هئت للأمر أهي هيئة ، وممّن روى عنه هذه القراءة ابن عباس وأبو عبد الرحمن السّلمي ، وأبو وائل، وعكرمة وقتادة وكلهم يفسرها بمعنى ، تهيأت لك .

قال ابن جرير كان أبو عمر و الكسائي ينكران هذه القراءة ، وقرأ عبد الله بن اسحاق : "هَيْتِ" بفتح الهاء وكسر التاء ، وهي غريبة ، وقرأ آخرون ، منهم عامة أهل المدينة "هَيْتُ" بفتح الهاء وضم التاء"[1].

نلاحظ أنّ ابن كثير أورد وجوهاً متعدّدة لقراءة "هَيْتَ" وذلك كله للوصول إلى المعنى وتثبيته في نفس القارئ .

4-10- المكي والمدني:

إنّ ابن كثير اهتمّ بهذا الجانب حيث أنّه لا يباشر سورة من سور القرآن إلا وذكر مكان نزولها مكية كانت أم مدنية .

يقول ابن كثير في بداية تفسير سورة آل عمران : " هي مدنية لأنّ صدرها إلى ثلاثة وثمانين آية منها نزلت في وفد نجران وكان قدومهم في سنة تسع من الهجرة ..."[2] .

ويقول عند تفسيره لسورة الأنعام : " وهي مكيّة ، قال العوفي وعكرمة وعطاء ، عن ابن عباس : أنزلت سورة الأنعام بمكة ؟... عن ابن عباس ، قال : نزلت سورة الانعام بمكة ليلاً جملة حولها سبعون ألف ملك يجأرون حولها بالتسبيح" [3].

1- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ص: 980.

2- المصدر نفسه ، ص: 350.

3- المصدر نفسه ، ص: 675.

ويقول – رحمه الله- في بداية تفسير سورة المجادلة : " وهي مدنية " [1] .ويباشر تفسره للسورة .

ويقول في مقدمة تفسيره سورة الحشر : " وكان ابن عباس يقول : سورة بني النضير ، وهي مدنية " [2] .

نلاحظ أنّ ابن كثير كان حريصاً على كل صغيرة وكبيرة يستحضرها عند تفسير سور وآي القرآن الكريم ،فابن كثير عند ذكر مكان نزول السورة يوجه القارئ ويعلمه بمكان النّزول وذلك لأهميته في بيان معاني القرآن الكريم .

4-11- النّاسخ والمنسوخ:

كان ابن كثير -رحمه الله- يشير وينبه على الآيات المنسوخة كلّما صادفه ذلك في تفسيره، فيذكر الآية وما نسخها من آية أخرى من أمثلة ذلك ما نجده في تفسير الآيات التالية :

قال الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾[3] .

يذكر ابن كثير في تفسير هذه الآية النسخ فيقول : " قال ابن عباس : كان أوّل ما نسخ من القرآن القبلة ، وذلك أنّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لّما هاجر إلى المدينة وكان أكثر أهلها اليهود ، فأمره الله أن يستقبل بيت المقدس ، ففرحت اليهود ، فاستقبلها

1- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ص: 1835.

2- المصدر نفسه، ص: 1844.

3- سورة البقرة: 144.

رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بضعة عشر شهراً ، وكان يحب قبلة إبراهيم فكان يدعو إلى الله وينظر إلى السّماء فانزل الله : ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ إلى قوله : فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾[1] .

ومثال آخر عن النّاسخ والمنسوخ ما أورده ابن كثير – رحمه الله- في تفسير سورة النّساء عند قول الله – تعالى – : ﴿ وَٱلَّتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾[2] .

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية : " كان الحكم في ابتداء الإسلام أن المرأة إذا زنت ، فثبت زناها بالبيّنة العادلة ، حبست في بيت فلا تمكن من الخروج منه إلى أن تموت ، ولهذا قال : ﴿وَٱلَّتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ ﴾ يعني الزنا ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ .فالسبيل الذي جعله الله : هو النّاسخ لذلك قال ابن عباس : كان الحكم كذلك حتّى أنزل الله سورة النّور ، فنسخها بالجلد أو الرّجم"[3] .

فالحافظ ابن كثير يبيّن لنا في تفسير هذه الآية أنّها منسوخة بسورة النّور وأنّ الحكم الأول الذي هو الحبس لا يؤخذ به بل يؤخذ بالحكم النّاسخ الذي أنزل في سورة النّور ألا وهو الجلد والرّجم .

1- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ص: 218.

2- سورة النساء: 15- 16.

3- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ص: 451.

إنّ منهج التحليل عند ابن كثير كان منهجاً قائماً على قواعد مصدرها الكتاب والسنّة وآثار الصحابة والتّابعين، مع مراعاة الظروف الخارجية التي ينـــزل فيها القرآن.

- المآخذ على منهج ابن كثير:

منهج التّفسير عند ابن كثير منهج بني على أسس وقواعد متينة منبعه الكتاب والسنّة ، وأقوال الصحابة والتابعين وأقوال الأئمة المجتهدين ، إلاّ أنّه حمل عليه بعض المآخذ ذكرها محمّد الزحيلي وهي :

1- الإطالة : فقد حرص ابن كثير – رحمه الله- على ذكر الأسانيد كاملة كما حرص على إيراد الروايات المتكررة في الموضوع الواحد ، والإطالة في عرض تفصيلات وجوانب متفرقة ودقيقة تفضي إلى الملل .

2- الإسرائيليات : كان ابن كثير متنبهاً لأمر الإسرائيليات وخطرها ، إلاّ أنّه أوردها في كتابه للاستئناس بها بحجة "الاستشهاد ، لا الاعتضاد "[1].

لكن هذا لا ينقض من عمل ابن كثير – رحمه الله- شيئاً ، فحرصه واهتمامه بهذا العلم – التفسير-جعله يلجأ إلى هذه المواضع ليأخذ منها ما يناسب بيان معاني الآيات مع الإشارة إليها والتحذير منها فقد كان على دراية بما كان يصنع في تحليله .

1- ينظر : محمد الزحيلي ، مصدر سابق ، ص: 222، 223.

الخاتمة

خاتمة

من خلال رحلتنا عبر أرجاء هذا العلم المترامية أطرافه، غائصين في أعماقه الغائرة اكتشفنا جملة من الاستنتاجات يمكن رصدها فيها يلي:

1- النّبي صلى الله عليه وسلم هو مصدر نشأة التّفسير ذلك أنّ الصحابة كانوا يسألونه عن معاني آيات القرآن الكريم، فكان يوضح لهم المعاني و يبيّنها.

2- دور الصحابة – رضي الله عنهم- في تفسير القرآن الكريم، فبعد وفاة النّبي – صلى الله عليه وسلم – تولى الصحابة مهمة التفسير حتّى اشتهر منهم جماعة، كالخلفاء الراشدين وابن عباس وابن مسعود .

3- مساهمة التّابعين في تفسير القرآن العظيم، بما نقلوه من روايات عن الصحابة كونهم نقلوا عن النّبي – صلى الله عليه وسلم – التفسير، فما زال التفسير يتضخم في عهدهم حتّى اجتمع منه الشيء الكثير.

4- اكتمال تفسير القرآن الكريم وظهور منهج التّفسير الجامع على يد ابن جرير الطبري – رحمه الله-.

5- منهج التّحليل هو مجموعة من القواعد والآليات التي يستعين بها المفسر لشرح النصوص والخطابات قصد بيان معانيها وتوضيح دلالتها.

6- التّحليل عند المفسرين هو بيان معاني الآيات القرآنية وشرحها بما يناسب إطارها المقامي والمقالي، حيث يستعين المفسر بما يمكنه في الشرح والتحليل كأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ والعلوم اللغوية.

7- التّفسير هو بيان وإيضاح آيات القرآن الكريم لفهمها واستخراج الأحكام الشرعية منها .

8- التأويل هو ترجيح أحد محتملات اللفظ بالدّليل للوصول إلى المعنى المناسب باعتماد الاجتهاد ، والمعرفة اللغوية بحسب السياق .

9- الفرق بين التفسير والتأويل هو أنّ التفسير يقيني قطعي أمّا التأويل فهو ظني.

10- للتفسير أهمية بالغة تكمن في معرفة معاني آيات القرآن الكريم، وإدراك مراميه وفهم مقاصده واستخراج أحكامه.

11- انتهاج المفسرين عدّة مناهج في تفسير القرآن الكريم منها:

- المنهج النقلي وهو منهج يعتمد في تفسيره على القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، وما نقل عن الصحابة والتّابعين من آثار توضح وتبين معاني آي القرآن الكريم .

- المنهج العقلي هو منهج تفسيري يقوم على الاجتهاد ومعرفة كلام العرب وأسباب النّزول ومعرفة النّاسخ والمنسوخ.

- منهج المتكلمين هو منهج يعتمد على العقل والنظر في تفسيره ، يلجأ أصحابه إلى البرهنة العقلية المنطقية والتأويل ، كما أنّه يقوم على القواعد المذهبية .

- المنهج الإشاري هو منهج يعتمد أصحابه الذوق والخيال في فهم آيات الله ، بواسطة إشارات خفية لا يعلمها إلاّ أرباب السّلوك من المتصوفة وقد حذر منه العلماء .

12- اتباع ابن كثير -رحمه الله- المنهج الأثري النقلي في تفسير القرآن العظيم .

13- بناء ابن كثير منهجه على تفسير القرآن بالقرآن ، تفسير القرآن بالسنّة ، تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين ، وأقوال الفقهاء والأئمة المجتهدين .

14- ذكر ابن كثير في تفسيره السّور المكية والمدنية، والنّاسخ والمنسوخ، وأسباب النّزول، ووجوه القراءات.

15- الاستشهاد بالروايات الإسرائيلية والتحذير من المكذوب منها ، و مناقشة القضايا الفقهية وذكر مواقف المذاهب منها.

16- استعانة ابن كثير في تفسيره بالشواهد الشّعرية ، ولجوؤه أحيانا إلى لغة العرب لبيان وجوه معاني الكلمة الواحدة .

17- ذكره الأسانيد والإطالة في ذكرها، وإشارته إلى الصّحيح من الروايات والتنبيه عن الضعيف منها.

18- إقلاله من وجوه القراءات، وإطالته في سرد أسانيد الروايات.

19- وُفق ابن كثير إلى حد بعيد في رسم المنهج المناسب للتّفسير، وذلك باستثمار النقل من تفاسير المتقدمين من العلماء فأحسن النقل.

20- منهج التّفسير النّقلي الذي اتّبعه ابن كثير ، ساهم بشكل كبير في قبول تفسيره بين العلماء وطلبة العلم .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

*القرآن الكريم عن رواية حفص.

1) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ،تح: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ط1، 1979.

2) أبو العباس أحمد بن محمد المهدي بن عجيبة الصوفي ، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، تح : أحمد عبد الله قرشي رسلان ، مكتبة حسن عباس زكي ، دط ، القاهرة ، 1419هـ.

3) أبو عبد الله محمد المحمود النجدي ،القول المختصر المبين في مناهج المفسرين ، دار الإمام الذهبي ، ط1، 1412هـ،ص:54.

4) أبو علي عمر بن محمد بن خليل السكوني المغربي المالكي ، التمييز لما أودعه الزّمخشري الاعتزال في تفسير الكتاب العزيز ، تح: السيد يونس أحمد ، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت ، 2005.

5) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم ، ط1، بيروت ، 2000.

6) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، فضائل القرآن ، تحّ: أبو إسحاق الحويني ، مكتبة ابن تيمية ، ط1، القاهرة ، 1416هـ .

7) أحمد شاكر عمدة التفسير ، دار الوفاء ، ط8، مصر ،2007.

8) جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، تح: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ط1، دمشق، 2008.

9) حكمت بن بشير ياسين ، التفسير الصحيح ، دار المأثر ، ط1، المدينة النبوية ، 1999.

10) خالد بن عبد الرحمن العك ، أصول التفسير وقواعده ، دار النفائس ، ط2، بيروت ، 1986.

11) زين الدّين محمد بن أبي بن عبد القادر الرازي ، مختار الصحاح ، تح: حمزة فتح الله ، مؤسسة الرسالة ، ط3، بيروت ، 2009.

12) سليمان بن إبراهيم اللاّحم ، منهج ابن كثير في التفسير ، دار المسلم ط1، الرياض ، 1999.

13) شاكر نعمة بكري الكبيسي ، التفسير التّحليلي ، مركز البحوث والدّراسات الإسلامية ، ط1، العراق ، 2009.

14) صالح عبد الفتاح الخالدي ، تعريف الدّارسين بمناهج المفسرين ، دار القلم ، ط3، دمشق 2008.

15) عبد الرحمن بدوي ، مناهج البحث العلمي ، وكالة المطبوعات ، ط3، الكويت ، 1977.

16) عبد العزيز عبد الله الحميدي ،تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنّة ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية .

17) عدنان محمد زرزور، علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيانه والإعجاز، المكتب الإسلامي ،ط1، دمشق ، 1981.

18) علي عبد الفتاح المغربي ، الفرق الكلامية الإسلامية ، مكتبة وهبة ، ط2، القاهرة ، 1995.

19) فخر الدين قباوة ، التحليل النّحوي أصوله وأدلته، الشركة المصرية ،ط1، القاهرة ، 2002.

20) فهد بن عبد الرحمن بن سليمان ، بحوث في أصول التفسير ومناهجه ، مكتبة التوبة ، دط، الرياض ، دت.

21) فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ، مؤسسة الرسالة ، ط3، الرياض ، 1997، ج1/.

22) مجد الدين محمد يعقوب الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، تح: أبو الوفا نصر الهوريني المصري الشافعي ، دار الحديث ، دط، القاهرة ، 2008.

23) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشرق الدولية، ط4، مصر، 2004.

24) محمد بن بكرى إبراهيم آل عابد، دراسات في التفسير وعلوم القرآن ،المكتبة العامة ، دط، المدينة المنورة ، 1340هـ.

25) محمد بن راشد بن محمد بن بركة، التفاسير المختصرة اتجاهاتها ومناهجها، مكتبة الملك فهد والوطنية ، الرياض ، 1436هـ.

26) محمد بن لطفي الصباغ، بحوث في أصول التفسير ،المكتب الإسلامي ، ط1، بيروت ، 1988 .

27) محمد بن لطفي الصباغ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التّفسير، المكتب الإسلامي ،ط3، بيروت ، 1990م.

28) محمد حسين الذّهبي ، التفسير والمفسرون ، مكتبة وهبة ،دط، القاهرة ، 1976.

29) محمد حسين الذّهبي ، علم التفسير ، دار المعارف ، دط، القاهرة ، دت.

30) محمد الزحيلي ، ابن كثير الدمشقي ، دار القلم ، ط1، بيروت ، 1995.

31) محمد سرحان ، على محمود ، مناهج البحث العلمي ، دار الكتب ، اليمن ، 2019.

32) محمد السيّد الجليند ،دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية ،مؤسسة علوم القرآن ، ط2، دمشق 1984.

33) محمد صالح العثيمين، أصول التفسير ، المكتبة الإسلامية ، عين شمس الشرقية ، 2001.

34) محمد عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، تح: فواز أحمد زمرلي ، دار الكتاب العربي ، ط1، بيروت ، 1995، ج2.

35) محمد الفاضل بن عاشور ، التفسير ورجاله ، مجمع البحوث الإسلامية ، الأزهر ، دط، 1970.

36) محمد المحمود النّجدي ، حسن التحرير في تهذيب تفسير ابن كثير ، دار أحمد بن حنبل ، ط1، الكويت ، 1999.

37) محمود حمدى زقزوق ، الموسوعة القرآنية المتخصصة ، المطابع التجارية ، دط، مصر ، 2003.

38) مساعد بن سليمان بن ناصر لطيار، التحرير في أصول التفسير، مراجعة مجموعة من الأساتذة، معهد الإمام الشاطبي، ط1، جدّة، 2014.

39) مساعد مسلم آل جعفر ، محي هلال السرحان ، مناهج المفسرين ، دار المعرفة ، ط1، 1980.

40) نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي ، بحر العلوم ، تح: مجموعة من الأساتذة ، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت ، 1993.

41) يوسف خياط ، معجم المصطلحات العلمية والفنية ، دار لسان العرب، دط، بيروت .

– المجلات والرسائل:

1) تهاني نور الهادي محمد عبد المعبود،منهج ابن كثير في التفسير وموقفه من الإسرائيليات في نسبة الشرك إلى آدم وحواء وموقفه من الحديث المرفوع والآثار الواردة فيه ، المجلة الإلكترونية الشاملة المتعددة التخصصات ، العدد 28 سبتمبر 2020 ، جامعة الملك خالد كلية العلوم والآداب محايل عسير .

2) مطر أحمد مسفر الزهراني ، الإمام ابن كثير المفسر ، إشراف أحمد صقر ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، مكة .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
البسملة	
الإهداء	
الشكر والتقدير	
مقدمة .	أ– ت
مدخل: نشأة منهج التّحليل عند المفسرين	4-26
1– مفهوم منهج التّحليل.	5
تعريف المنهج .	5
✓ لغة	5
✓ اصطلاحاً.	6
تعريف التّحليل.	7
✓ لغة	7
✓ اصطلاحا	8
2– مفهوم التّفسير والتّأويل والفرق بينهما.	9
تعريف التّفسير .	9
✓ لغة	9
✓ اصطلاحاً	10
✓ مفهوم التّأويل	11
✓ لغة	11
✓ اصطلاحاً	12
✓ الفرق بين التّفسير والتّأويل.	13
3– أهمية علم التّفسير .	14
4– مراحل نشأة التّفسير .	16
✓ التّفسير في عهد النّبي –صلى الله عليه وسلّم –	16

- ✓ التّفسير في عهد الصحابة – رضي الله عنهم- 17
- ✓ المشتهرين بالتّفسير من الصحابة . 18
- ✓ علي بن أبي طالب 19
- ✓ عبد الله بن مسعود 19
- ✓ عبد الله بن عباس 20
- ✓ التّفسير في عصر التّابعين 20
- ✓ المشتهرون بالتّفسير من التابعين 21
- ✓ مجاهد 22
- ✓ قتادة 22
- ✓ التّفسير في عصر التّدوين 23

الفصل الأوّل: مناهج التّحليل عند المفسرين. 28-47

1- منهج التّحليل النّقلي (الأثري) 28

- ✓ تعريف المنهج النّقلي . 28
- ✓ مصادر المنهج النّقلي . 29
- ✓ القرآن الكريم. 29
- ✓ السنّة النّبوية. 30
- ✓ أقوال الصحابة. 31
- ✓ أقوال التّابعين. 32

2- منهج التّحليل بالرّأي (العقلي) 33

- ✓ تعريف المنهج العقلي. 33
- ✓ نشأة منهج التّحليل العقلي 34
- ✓ موقف العلماء من المنهج العقلي 35
- ✓ المانعون 35
- ✓ المجيزون 36
- ✓المجيزون بشروط 37

3- منهج التّحليل عند المتكلمين 39

- ✓ تعريف علم الكلام . 39
- ✓ نشأة المنهج الكلامي. 39
- ✓ مذهب الكلام عند المعتزلة . 41

4- منهج التّحليل الإشاري . 43

- ✓ تعريف المنهج الإشاري . 43
- ✓ نماذج من المنهج الإشاري . 44
- ✓ موقف العلماء من التّفسير الإشاري . 45
  - ❖ الاتجاه الأوّل 45
  - ❖ الاتجاه الثاني 46

الفصل الثاني: منهج التّحليل عند الحافظ ابن كثير 48-80

1- ترجمة الحافظ ابن كثير. 49

- ✓ مولده . 49
- ✓ عقيدته. 49
- ✓ شيوخه. 50
- ✓ تلاميذه. 51
- ✓ آثار ابن كثير. 52
- ✓ ثناء العلماء على الحافظ ابن كثير. 52

2- التّعريف بتفسير الحافظ ابن كثير. 53

- ✓ طريقة ابن كثير في التفسير 54

3- المصادر التي اعتمدها ابن كثير في تفسيره . 55

4- منهج التّحليل النّظري عند ابن كثير. 56

5- المنهج التّطبيقي عند ابن كثير – رحمه الله- 61

- ✓ تفسير القرآن بالقرآن 61
- ✓ تفسير القرآن بالسّنّة 63
- ✓ تفسير القرآن بأقوال الصّحابة والتّابعين 66

- ✓ ذكره أسانيد الأحاديث ومتونها 68
- ✓ الإسرائيليات 69
- ✓ مناقشة القضايا الفقهية 70
- ✓ أسباب النّزول 72
- ✓ تفسير القرآن باللغة 74
- ✓ ذكره القراءات 75
- ✓ المكي والمدني 77
- ✓ النّاسخ والمنسوخ 78
- ✓ المآخذ على منهج ابن كثير 80

الخاتمة. 84-82

قائمة المصادر والمراجع. 90-86